المشاهير

١

معروف الرصافي

سيرته وديوان شعره للأطفال



عبد التواب يوسف



دار ثقافة الأطفال
قسم النشر
سلسلة المشاهير
١



المسح الضوئي والاعداد الفني : أحمد هاشم الزبيدي
٢٠٢٠م

رقم الأيداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٢٨٤ لسنة ١٩٨٧

دار الحرية للطباعة ـ بغداد

الثمن : ٢٥٠ فلس

اسم الكتاب : معروف الرصافي .. سيرته وديوانه للأطفال
تقديم ودراسة : عبد التواب يوسف
الطبعة العربية : الأولى
سنة النشر : ١٩٨٧
الناشر : وزارة الثقافة والأعلام ـ دار ثقافة الأطفال
العراق ـ بغداد ـ ص.ب ٨٠٤١

١

سلسلة المشاهير

تصدر عن قسم النشر في دار ثقافة الأطفال
المدير العام : فاروق سلوم
سكرتير تحرير السلسلة : فاروق يوسف

معروف الرصافي

سيرته وديوان شعره للأطفال

تقديم ودراسة
عبد التواب يوسف

لوحة الغلاف للفنان : عبد الكريم سعدون

المسح الضوئي و الأعداد الفني
أحمد هاشم الزبيدي

تنويه : تم اعداد هذا الكتاب عن نسخة اصلية استعرتها من مكتبة وارشيف (دار ثقافة الأطفال) عام ٢٠١٧م واجريت لها المسح الضوئي ، فشكرا جزيلاً للسيدة (فريال فوزي) مسؤولة المكتبة في ذلك الوقت لتسهيل استعارتي للكتاب وكتب اخرى لاجل توثيقها وارشفتها الكترونياً، جزاها الله كل خير.

احمد هاشم الزبيدي
نيسان (ابريل) ٢٠٢٠م

اهداء

من العراق..
واليه
اعزازاً وتقديراً

والى روح الرصافي
في جنة الخلد
وداً واحتراماً

والى الاطفال العرب
في وطنهم الكبير
حباً واعجاباً

عبد التواب يوسف

مقدمة

للآباء والابناء معا

«معروف الرصافي» شاعر معروف.. في بلده: العراق، وفي كل ارجاء الوطن العربي.. والناس تقرأ شعره، وتردده.. كما ان الادباء يكتبون عنه الكثير.. لكن قليلين هم الذين اعطوا اهتمامهم لما نظمه هذا الشاعر الكبير للاطفال، وهذا الجانب من ادبه غير معروف خاصة بالنسبة للاجيال الجديدة.. وهناك محاولات دؤوبة لاعادة الاطفال الى ساحة الشعر، .. وبين هذه المحاولات ضرورة ان نضع تراثنا الشعري امام اعينهم، ليكون صورة للعصر الذي قيل فيه، ومنطلقا لما جاء بعده..

وامير الشعراء – احمد شوقي – كان اسبق ادباء العروبة اهتماما بهذا الجانب، فصاغ للأحداث قصائد عدة، تجاوزت المائة، ضمنتها في ديوان واحد مع مقدمة طويلة، وكان هدفي من ذلك ان يكون شعره للأطفال بين ايدي الدارسين.. كما ان دار ثقافة الاطفال ببغداد

اصدرت اربعة كتب تضم قصائد امير الشعراء للأطفال، وكان المرحوم فتحي خليل وراء هذا العمل الذي وصل الينا في القاهرة متأخرا.. وكان توارد خواطر ان فكر د.عز الدين اسماعيل في تقديم شعر شوقي في الحيوان الى الاطفال العرب.. فاصدرت هيئة الكتاب ستة كتب من نفس النبع، وكنت شخصيا وراء هذه الكتب بتقسيماتها الطريفة: قصص في قصائد.. عن الاسد، الحمار، الكلب، الثعلب،... كما انني قمت برواية قصة كل قصيدة نثرا في سطور قليلة مستهدفا تقديم القصيدة وتبسيطها وتيسير قراءتها على الاطفال.

ومن بعد ذلك اصدرت ديوان «الهراوي» للاطفال وتضمن كل اشعار المرحوم محمد الهراوي (١٨٨٥ – ١٩٣٩) لكي يقرأه الاباء لهم، وليستعين به الدارسون لشعر الاطفال، واتبعت ذلك باصدار «الهراوي رائد مسرح الطفل العربي» وفيه تضمين امين لخمس مسرحيات كتبها في عشرينات هذا القرن من بينها مسرحيتان شعريتان..وقدّمنا واحداً من دواوين الهراوي يحمل عنوان « انباء الرسل» نظم فيه قصص الرسل عليهم السلام شعرا للاطفال، وقدمت لكل قصة نثرا ماأورده في قصيدته ، وقد

حفل الكتاب بلوحات جميله للاطفال..وبذلك حاولنا ان نصون قصائد هذا الشاعر للتاريخ، اذ هي تمثل فترة هامة في حياة بلادنا، عبر عنها بسلاسة وطرافة..

ويجيء دور الرصافي شاعر العراق الكبير وقليلون هم الذين يعرفون انه كتب قصائد للاطفال حتى ان الكثيرين يدهشون حين يسمعون بقصائده التي تضمنها ديوانه هذا، والذين كتبوا عنه لم يولوا هذا الجانب اهتمامهم بل اغفلوه بالكامل، الأمر الذي يحتم علينا ان نفرد له ديوانا كاملا نضع فيه منظوماته للاطفال ، وقد سماها (تمائم التعليم والتربية) ، ورأينا ان نضعه بين ايدي الابناء ولاباء معا ليكون صالحا للقراءة وللدراسة معا. ومامن اضافة لنا إلا نثر القصائد، تبسيطا لها وتيسيراً للقراء الصغار الناشئين...

اننا نريد من أبنائنا ان يطالعوا الكلمات القليلة التي تسبق كل قصيدة، لكي يتعرفوا على موضوعها وفكرتها، ولكي تفتح لهم الباب من اجل ان يتفهموا الشعر الجميل العذب، الذي قاله الشاعر الكبير «معروف الرصافي»، وليتمتعوا بموسيقاه وانغامه، وبكلماته الحلوة، وقوافيه الموقعه، المنتظمة، .. سوف يجدون في ذلك لذة كبيرة، ومتعة مابعدها متعة..

وكنا في ترتيب قصائد الديوان بين احد امرين : ان ندعها كما وردت من قبل، وكما طبعت منذ مايزيد على الاربعين عاما، وبين ان نعيد ترتيبها، فنضع مثلا قصائده عن فصول العام: الربيع، الصيف، والشتاء معا، وان نجعل بابا للقصص، واخر للوطنيات، وهكذا.. وقد اثرنا ان نترك القصائد كما كانت فان تنظيمها وترتيبها لن يضيف اليها كثيرا.. وقليلون هم الذين يقرأون الديوان صفحة بعد صفحة، وقصيدة بعد اخرى، اذ غالبا ما يتنقل القارئ مابين القصائد كأنه في حديقة نضره، يطير بين ازهارها كالفراشة.. والاطفال يفعلون هذا كثيرا.. هم ينتقون.. قد يقرأون القصائد التي تروي قصصا، او يتعاطفون مع الاشعار الوطنية، او يجتذبهم موضوع بذاته كأن يحب واحد منهم الطيور، لذلك يقرأ ما جاء عنها من قصائد، وهكذا..

ومدين انا بالطبعة القديمة من الديوان الى صديقين.. الدكتور هادي نعمان الهيتي الذي كتب للاطفال كثيرا، وقدم دراسات ضافيه عن ادبهم، ورأس تحرير «مجلتي» و «المزمار» بضع سنوات، ومازال عطاؤه موفورا في هذا المجال، وفي خطتنا تقديم دراسة وافية للكبار عن هذا الديوان متعاونين معا، كدأبنا منذ تعارفنا وتصادقنا..

والنسخة الثانية اهداني اياها في سخاء الصديق الشاعر ابراهيم شعراوي.له اشعاره الجميلة، وقصصه الجذابة للاطفال، وهو يولي الادب الشعبي اللغوي اهتماما كبيرا، وقد نقل الكثير منه لابنائنا.. كما انه مازال يثري مجال ثقافة الاطفال بالانتاج، والدراسة معاً..

للصديقين مني كل الشكر، وعظيم الامتنان.. ولا اظن ان انساناً قادراً على ان ينهض وحده بكل العمل، بل لابد له ان يعتمد على الاصدقاء الذين يخلصون لقضية الطفولة، ويعملون من اجلها في تفان وحب.. ولن انسى تشجيع الاخوة لي، من اجل مواصلة جهد تقديم هذا التراث الرائع للابناء، واشير الى بعضهم..

الاستاذ الشاعر المغربي (علي الصقلي) رفع كتابي عن شوقي والهراوي للمشاركة في ندوة في تونس وقال كلمات طيبة، اذكر منها عبارة عن «الوفاء» شكرته عليها.

الدكتور بلال الجيوشي – الفلسطيني الاصل، كانت حماسة كبيرة لعملي عن الهراوي وحثني في ندوة في البحرين على ضرورة اصداره بعد شوقي.. واستجبت له مقدرا حماسته للطفولة..

الدكتور محمد محمود رضوان – الوكيل الاول لوزارة التربية ونقيب المعلمين في مصر سابقا – كان دوما يحملني مسؤولية ان انفض الغبار عن هذه الاشعار واقدمها مجلوة في اطار جديد.. وهو كشاعر وكاتب مسرحي للاطفال له جهوده المثمرة.. وقد ورثت صداقته عن ابي.. وهو دوما يطوق عنقي بالكثير..

الدكتور عبد العزيز المقالح – مدير جامعة صنعاء ومدير مركز الدراسات اليمنية والشاعر الكبير الحائز على جائزة اللوتس – امتدح عملي هذا، واهداني كتابه عن ادب الاطفال «الوجه الغائب»، وبه فصل عن كتاباتي للاطفال، والدراسة كانت دوما الضوء الذي ينير لي الطريق..

الدكتور زيد عبد المحسن الحسيني مدير مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، اهديته ديوان الهراوي، واذا به يطالعه في ذات الليلة مع اطفاله، بل ينقل الي في الصباح انه غنى معهم بعض قصائده، وانهم يترنمون بابياتها وهم يتجولون في الدار..

ولو مضيت اعدد اسماء الاصدقاء والخلان الذين ساندوني في هذا العمل، خاصة من شعراء الاطفال، لطالت بي القائمة

وامتدت من العزيز الغالي «سليمان العيسى» متضمنة عشرات الاسماء وصولاً الى (فاروق سلوم) و «فاروق يوسف»، لكنني يجب ان اتوقف.. ومحط الوقوف هي «دار ثقافة الاطفال» في بغداد، والله وحده يعلم مدى امتناني العميق لكل من فيها: انها سندي، مظلتي، محركتي، انني اعيش معها، وبها ولها.. كل سطر اكتبه للاطفال اسائل نفسي: كيف يتقبلونه؟ هل يرضون عنه؟ هل يحبونه؟!.. انهم «اسرتي» و «اهلي» و «قبيلتي» في زمن عز فيه الصديق، والخل الوفي، والعنقاء!!.. انني احني الرأس اجلالا لجميل صنيعهم معي، ووقوفهم بجانبي.. يعلم الله انهم مني في سويداء القلب والعين.. لهم اجلالي. احترامي. حبي.. وليس عندي شيئ سوى هذا امنحه اياهم، منذ عرفتهم عام ١٩٧٠، الى يومنا هذا والى اليوم الذي يعرفه الله..

لقد اطلت، وفي الخطة دراسة اخرى متكاملة عن الرصافي وشعره مع د. هادي الهيتي – كما قلت من قبل – لذلك ادع القصائد بين ايديكم، متمنيا ان تستمتعوا بها كما استمتعت..

عبد التواب يوسف

طفولة الرصافي ودراسته

عندما تزوجت «فاطمة بنت جاسم» من «عبد الغني محمود» احتفلت بها محلة «القراغول» في الرصافة ببغداد... ان عشيرة العروس من قبائل «شمر» العربية، تدق الطبول وتعزف على الطنبور، وتمد الموائد للضيوف.. وقد اقبل اهل العريس من مكان يقع ما بين لواء كركوك ولواء السليمانية، وهم عرب ينتسبون الى بيت ال النبي صلى الله عليه وسلم، واصدقاء الشاب من جنود الدرك فرحون به، اذ انه متدين، كثير الصلاة، كثير قراءة القران الكريم..

وعندما ولد لهما طفلهما، اختارا له اسم «معروف».. وكان الاب يعمل بعيدا عن بغداد، ويتركها لفترات طويلة، لذلك تربى الصغير في بيت جدته لأمه، وكانت ترعاه وتربيه، وتعطف عليه، وترتبط به كل الارتباط..

وربما يسأل البعض:

– هل كان «معروف» وهو طفل صغير يلعب ويعبث ويلهو مع اصحابه؟!

البعض يقول: نعم.. كان يفعل ذلك كثيرا..

والبعض يقول: انه لم يكن كثير الاختلاط مع غيره من الاصحاب والجيران، ولم يكن ميالا الى لهوهم وعبثهم ولعبهم.. لكن المؤكد ان الصغير «معروف» كان مثل كل اطفال الدنيا، شغوفا ببعض الوان التسلية، وانه كان يميل الى ان يعمل شيئا بيديه، ولابد انه اقتنى بعض الادوات والعدد الصغيرة لكي يستخدمها في النجارة او الحدادة، وهو يستمتع بها كل الاستمتاع، ويستغرق في اللعب بها، حتى انه ينسى الدنيا وما عليها، بل وينسى نفسه.. وقد حدث يوما ان غفل عما حوله، وامسك بواحدة من ادواته الحادة يطرق بها شيئاً قبض عليه بيسراه، واذا بالطرقة تحيد، وتبتر عقلة من الاصبع البنصر من يده اليسرى..



التحق «معروف» بوا حد من الكتاتيب القريبه من البيت.. وبدأ يتعلم الحروف الهجائية: الف باء تاء... وعندما اجاد قراءة الكلمات بدأ بحفظ اجزاء من القران الكريم، حتى ختمه، اي حفظه عن ظهر قلب.. واقيمت له حفلة «الختمة» حيث دعي اصدقاؤه وزملاؤه، وقد ساروا في موكب كبير من الكتاب الى الدار، وهم يغنون وينشدون..

الحمد لله الذي تحمــدا ... حمدا كثيرا ليس يحصى عددا

ويتناول الجميع الطعام الذي صنعته الام بيديها، فرحة مبتهجة بابنها الذي كان في التاسعة من عمره!..

ويلتحق «معروف» الصغير بالمدرسة الابتدائية، وكانت على ايامه ثلاثة صفوف لا اكثر، اجتازها بنجاح، لكي يلحقه ابوه بالمدرسة الرشيدية العسكرية – وكانت في مستوى المدارس المتوسطة او الاعدادية ولكنه لم يستطع ان ينهي دراسته فيها، لذلك تركها واتجه الى دراسة العلوم الدينية، وبهذا نفض يديه من طموحاته الوظيفية، وفقد الامل في العمل الحكومي..

بدأ «معروف» يتتلمذ على يد عالم جليل هو السيد محمود شكري الالوسي، واذا بالصبي يبدي نبوغا مبكرا، ويقبل على الدرس والعلم اقبالا شديدا، ويعجب الشيخ المعلم بالفتى الطالب «معروف عبد الغني محمود» خاصة وقد زهد في الكثير من امور الحياة، وعرض الدنيا، وعكف على الكتب الدينية ينهل منها، وراح يتردد على المساجد يتعبد، ويكثر من الصلاة.. وكان كثيرا ما يزور قبر الشيخ معروف الكرخي الذي يتبرك الناس بزيارته، وعندما تكررت هذه الزيارات ابتهج له معلمه واستاذه، وقال له يوما..

– ذاك معروف الكرخي و انت «معروف الرصافي»! ومنذ ذلك الحين اصبح الاسم الذي ينادى به هو «معروف الرصافي» وبقي يحمل هذا اللقب بقية عمره المديد، وقد عاش مابين عامي ١٨٧٥ و ١٩٤٥.. اي انه عمر حتى سن السبعين!

احب «معروف الرصافي» الشعر حبا جما، واقبل على دواوينه يقرأها في لهفة منذ نعومة اظافره، وكان ينقل الادبيات والقصائد التي يعجب بها في كراسات يحتفظ بها، ويحفظ مافيها عن ظهر قلب.. وكثيرا ما كان يتمنى لو انه استطاع ان يقول شعرا مثل هذا الشعر الذي يقرأه ويحفظه، ويضم الدواوين الى صدره، ويرجو ان يكون له يوما ما ديوان يذكره الناس به..

ولقد حاول الفتى ان يكتب قصيدة.. وكتب، وبعث بها الى جريدة (المؤيد) في مصر.. وكتب اخرى ارسلها الى مجلة (المقتطف).. ولا تسل عن فرحته الغامرة حين وصلته الجريدة، ومن بعدها المجلة، وقد نشرت فيهما القصيدتان، ومن فوقهما اسم: يلمع ويتألق.. وكانت قصائده مفأجاة للكثيرين، حتى ان صحفيا لبنانيا انكر وجوده. وقال ان شاعرا عربيا كبيرا يكتب هذه القصائد ويوقع باسم مستعار هو معروف الرصافي! ورد الاستاذ «محمد كرد علي» على صاحب هذه القصة واكد له ان «معروف الرصافي» شاعر عراقي عربي نابغة!..

وظل الرصافي يلقى من استاذه السيد محمود شكري الالوسي العناية والرعاية، الى ان رحل الاستاذ، فنعاه تلميذه بقصيدة رائعة قال فيها..

اذا نعيك وافي (مصر) منتشرا   حنا ابو الهول يشكون منه اهوالا
اما العراق فأمسى الرافدان به   سطرين للدمع في خديه قد سالا

وقد توالت قصائد «معروف الرصافي» الرائعة ، تكشف عن عمق ايمانه بالعراق ، وبالوطن العربي الكبير . .

قال عن مصر . . .

مني الى «مصر» ذات المجد والحسب تحية ذات ود غير مقتضب
اذا «العروبة» خلت عرش دولتها فمصر تاج لها قد صيغ من ذهب

وقال عن لبنان

ارى الحسن في لبنان اينع غرسه وقارب حتى امكن الكشف لمسه
اذا كان لبنان كـ«ليلى» محاسنا فلا تعجبوا من انني اليوم (قيسه)

وقال عن ليبيا

اما والعلا ياارض (برقة) اننا لنشرق من جراك بالبارد العذب
ويا اهل (بن غازي) سلام فقد قضت صوارمكم حق المواطن في الذب

وقال عن تونس

اتونس ان في بغداد قوما ترف قلوبهم لك بالوداد
اتونس ان مجدك ذو نماء الى عليا (نزار) او (اياد)

وقال عن الجزيرة العربية

كفى الجزيرة فخرا في مكارمها (قبر) اناف بها قدرا على الشهب
(قبر) بتربتها قد ضم جوهرة من معدن الله لا من معدن الترب

وهو يقصد بذلك قبر الرسول ﷺ كما هو واضح.. وكانت كل هذه القصائد قبل ان تقوم جامعة الدول العربية اذ توفى قبل قيامها.

ان الرصافي يقول في واحدة من الدرر الخالدة

بني العروبة هبوا من مراقدكم
الى متى نحن نشكو صولة النوب؟
كانت اوائلكم في (وحدة) تركت
اعداءهم قدداً في قبضة الرهب
سلوا بذلكم (اليرموك) واديه
فانه بسوى ماقلت لم يجب
عن (خالد) بطل الابطال انجدنا
اذ فل جيش العدا بالقتل والحرب
و(القادسية) عن (سعد) محدثة
بقتل (رستم) رب العسكر اللجب
اذا علمنا بان النصر طالعهم
من افق وحدتهم، لم يبقَ من عجب
اقول والبرق يسرى في مراقدهم
(ياسارى البرق ايقظ راقد العرب)

حتى تكون عالماً لنفع هذا الوطن

وتأتي الذروة في هذا البيت الذي تغنت به مصر طويلاً

فأين أباة الضيم من آل يعرب
الم يأتِ منهم (ناصر) ومعين؟!

أكانت نبوءة وارهاصة من شاعر توفي قبل ثورة تموز ١٩٥٢ بسبع سنوات؟!

كلمة بريئة

اكتب هذه الكلمة وشاعرنا المرحوم الرصافي في طيات الثرى وادراج البلى، ترك لنا بعد موته تراثا خالدا تغرده البلابل من أبناء الأجيال وتحفظه على كر السنين

والاعوام. وفي اعادة طبع هذا الكتاب تجديد صفحة خالدة من صفحات تلك المخلفات التي مانطلق بها الا عن شعور فياض بحبه لابناء جلدته من ابناء هذه الاوطان من ديار يعرب وقحطان فقد حبها حبا طفح به قلبه ونطق به لسانه فكأن الهزار الغريد طول حياته التي كان متبرما منها فشدا وغنى بقلب حزين وطروب كلما دعاه الواجب وناداه ابناء الوطن العزيز. وها هو ذا يعطينا صورة مصغرة من الوان شعره العذب في هذا الكتيب الذي قدمه لأرباب العلم والتعليم.وهو يمثل جانبا لايستهان به من جوانب ديوانه الخالد وشعره الطريف والتالد، ضاربا للامة العربية من امثلة التعشق بالحرية ورفع نير الاستعباد بالخلق المتين والعمل الرصين والحزم المتين. رحم الله الرصافي خالداً بمآثره مدى الحقب والازمان.

بغداد: يوسف يعقوب مسكوني

كلمة ايضاح امام المقصود

الى المفكرين من رجال الامة

ان للحالة الاجتماعية في كل امة ثلاثة مصادر. هي عنها صادرة ومنها مشتقة ، واليها راجعة. اولها الوالدان او الاسرة، ولاسيما الام، التي هي عماد الاسرة. وثانيها المدرسة والمعلم. وثالثها الوسط او المحيط.

فمن اراد أن يسبر من الامة غور حالتها الاجتماعية ويعرف مابها من نقص او كمال، فليدرس منها تلك المصادر الثلاثة درسا متقنا. فاذى رأى بها نقصا واراد لها الكمال فما عليه الا ان يصلح تلك المصادر والاعياه اصلاحها واصعادها الى مستوى الكمال الذي اراده لها ولو كان فيها ذا علم وعرفان وصاحب حكم وسلطان.

واهم هذه المصادر هو المصدر الاول ، اعني الوالدين وخصوصا الام منهما فان هذا المصدر هو اول مرحلة من مراحل التربية التي بها ينمو ماأودع الله في الطفل من القابلية للصلاح والاستعداد للكمال. فاذا كان هذا المصدر فاسدا نشأ الطفل فاسدا، واذا كان صالحا نشأ صالحا.

وبها يمكن تلافي مافات في المرحلة الاولى من واجبات التربية الصحيحة والتعليم ولكن لايمكن ازالة ماحصل في التربية الاولى من المفاسد، اذا كان المصدر فاسدا، لان المدرسة مهما كانت راقية في تربيتها وتعليمها فانها لاتستطيع ان تنتزع من الصبي جميع ماانطبع فيه من المفاسد عند تربيته في المرحلة الاولى بل لابد ان يبقى فيه من ذلك اثر لاينتزعه منه الا الموت.وبهذا يتبين ما للأم من المنزلة السامية في المجتمع الانساني، ويتضح ان حالة الام هي اس أساس الحالة الاجتماعية في كل أمة.

أما المصدر الثالث أعني الوسط او المحيط، فنحن اذا قطعنا النظر عما به من الاحوال الطبيعية وجدناه تابعا للمصدرين اللذين قبله رفعة وانحطاطا. ماحالة المرء فيه الانتيجة حالتيه في المصدر الاول والثاني اذا هو بعد قطعه

تينك المرحلتين الاولى والثانية يأخذ عند دخوله في معترك الحياة يزاول في مساعيه مظاهر التربية العملية فيتتبع الامور ويستقر بها ويمارسها بالعمل الى ان تحكمه التجارب، يصبح عضوا فعالا نافعا في المجتمع الذي هو فيه وماذلك الا بفضل ماتلقاه من التربية الصحيحة، والتعليم النافع في المصدرين الاولين. ومن هنا نعلم ان من جاوز الدورين الاولين، من دون ان يتلقى فيهما تربية صحيحة وعلما نافعا تعذر عليه أن يكون عضوا نافعا في الدور الثالث وبهذا المعنى يجب أن نفسر قول الشاعر العربي :

اذا بلغ الفتى عشرين عاما ولم يفخر فليس له فخار

لان زمن التربية قد انقضى بعد العشرين فاذا كانت تربيته قبل العشرين لم تظهر مافيه من القابلية والاستعداد للفخر بقي خاملا الى اخر الحياة.

إن الانسان الصغير غصن له ثقافان (١) الام والمدرسة، فان خرج منهما مثقفا مستقيما، بقي الى اخر الحياة مستقيما، وان خرج منهما معوجا بقي معوجا الى اخر

الحياة، واستحال تثقيفه بعد ذلك لانه اصبح خشبة وقد قال الشاعر:

ان الغصون اذا قومتها اعتدلت ولايلين اذا قومته الخشب

وعليه فمستقبل كل امة منوط بمهودها وبتخوت مدارسها، فمن اراد لأمته مستقبلا طيبا فما عليه الا ان يسعي بقدر مايستطيع في اصلاح تلك المهود وتلك التخوت، والا كان مقصرا في اداء الواجب عليه تجاه امته، ولو كان من الذين محضوها الود وارادوا لها الخير.

أما مدارسنا معاشر العرب فاقول بملء القلب اسفا، انها لاتزال بعيدة عن ايصال ابنائها الى الغاية المطلوبة منها، اذ هي اليوم ناقصة جدامن وجوه عديدة بالنسبة الى مابلغته مدارس غيرنا من الكمال فعسى أن ينظر المفكرون منا في أمرها ويأخذ كل واحد منهم في اصلاح مايراه فيها من الخلل بقدر استطاعته ومقدرته.

ان في أدمغة الصبيان قابلية عظيمة للتلقي، واستعداداً كبيراً للاخذ، فلا مؤثر في الكون الاتنطبع اثاره فيها بكل سهولة وتكون، بعد انطباعها، أعز امحاء من خطوط الرواجب (١) ولذا قالو «العلم في الصغر كالنقش في

الحجر». ولذا أيضا اخذ المفكرون من رجال الامم الراقية، يتحرون وسائل الاستفادة من هذه القابلية فيما يريدونه للأحداث الصغار من التربية الفكرية والاخلاقية

ومما أوجدوه من تلك الوسائل، ماكتبوه لهم من الاناشيد والاشعار التي تشرب قلوبهم حب الوطن، وتلقنهم الاخلاق الحسنة، وتعودهم على التفكر والاعتبار بمخلوقات لله الى غير ذلك مما يكون له تأثير حسن في اخلاقهم أيام الصبا.

وهذا هو الذي دعاني أن أكتب لابناء مدارسنا هذه الرسالة الشعرية التي ضمنتها مقاطع مختلفة من الشعر المدرسي، سميتها «تمائم التعليم والتربية» راجيا من الله تعالى أن ينفع بها الشبان من ابناء الامة إنه على ذلك قدير، وبالاجابة جدير.

معروف الرصافي

(١) الثقاف: آلة تسوى بها الرماح. وثقف الرمح قومه وسواه. ومنها ثقف الولد: هذبه وعلمه.

(١) الرواجب: المفاصل التي تلي الانامل واحدتها راجبة ورجبة.

القصيدة الاولى

بسم «الله» يستهل الرصافي قصائده للاطفال..

يتحدث الشاعر الكبير عن الشجرة، ذات الغصون النضرة، ومن اخرج منها الثمرة.. ثم يتحدث عن الشمس والحرارة والضياء، والليل والقمر والنجوم، والجبل الشامخ، والبحر ومن ملأه بالمياه، والرياح ومن ارسلها، والغيم الذي ينزل مطرا، وبه تخضرّ الارض.. ثم ينتقل الى الرياض والحدائق وزهورها وفراشها الملون الذي يطير صاعدا نازلا، ويتكلم عن الحشرة ويسأل من اوجدها.. ثم الانسان من اعطاه البصر ونور العينين ومن منحه العقل والتفكير..

ان الجواب في كلمة واحدة: «الله» سبحانه وتعالى.

انه «الله» الحكيم القادر.. جل وعلا..

الله

أنظُرْ لتلك الشجره   ذات الغصون النضره
كيف نمت من بذرةٍ   وكيف صارت شجره
فانظرْ وقل من ذا الذي   يُخرج منها الثمره
وانظرْ الى الشمس التي   جذوتها مستعره
فيها ضياءٌ وبها   حرارةٌ منتشره
من الذي كوّنها   في الجوّ مثل الشررَة
وانظر الى الليل فمَنْ   أوجد فيه قَمرَه
وزانهُ بأنجمٍ   كالدُرر المنتثره
والطود[1] من طوّده   والبحر من ذا سجَره[2]
والريحُ من أرسلها   والماء مَن ذا فجّره
وانظرْ الى الغيم فمن   أنزلَ منه مطَرَه
فصيَّرَ الارضَ به   بعد اغبرارٍ خَضِره
وانظر الى الروضِ فمن   نوعَ فيه زَهَره
وانظر به فراشةً   صاعِدةً مُنحدرَه
جَناحها يُشبه في   خطوطه المسطره
ديباجةً موشيّةً   تنشرها كالحِبَرَه[3]
فانظر وقل: «من ذا الذي   اوجد هذي الحشره؟»
وانظر الى المرء وقل   مَن شقّ فيه بَصَرَه
من ذا الذي جهّزه   بقوةٍ مفتكره
ذاكَ هو الله الذي   ويلٌ لمَنْ قد كَفَره
ذو حكمةٍ بالغةٍ   وقُدرةٍ مُقتدره

(١) الطود: الجبل العظيم. (٢) سجر البحر: ملاه بالماء. (٣)الحبرة: برديمان والجمع حبر.

القصيدة الثانية

يفخر الرصافي بالعروبة.. لاننا نحن العرب نحارب الظلم والظالمين، ولا نتسلط ولانتجبر، نطلب العزة بسلاحنا وسيوفنا، دفاعاً عن شرفنا.. كما اننا كرماء لضيوفنا، ولانحب لانفسنا! الا القمة، نرفض الذلة والضعف.. والعرب اذكياء، وذكاؤهم واضح كالشمس الساطعة صيفاً.. وطبع العرب انهم لايقبلون الغش والتزييف، بل يحبون الشيء الاصيل النبيل، بل حتى ظلنا : انه يَقي الدنيا من حر الشمس، والريح القاسية، لاننا نأبى ان نأتي ما لا يرضي الله العلي عنه.. ونحن ندع النوم ونتركه، ونطير الى المجد جماعات كالطيور المحلقة، ولانتأخر عن قطع الصحارى والقفار مهما كلفنا ذلك من جهد، ومهما تعرضنا للمصاعب والمتاعب... فنحن لها!

نحن بني يعربَ حربٌ للحيفْ[١] لانطلُب العزّة الاّ بالسيفْ
ونحن اقرى كلّ قومٍ للضيفْ لانترل الوَهْدَ[٢] ولكن بالخيف
ذكاؤنا أسطع من شمس الصيفْ وطَبعُنا بأنف من فعلِ الزّيْف[٣]
وظلّنا يحفظ من لفح الَهيْف[٤] نعاف ماينثي العلى كل العيْف
ونترك النوم اذا شان الطيف نطيرِ للمجدِ كما طار الغيف[٥]
لانتوانى فيه عن قطع الفيَف[٦] من أين يأتينا التواني أو كيفْ

(١) الحيف : الجور والظلم.
(٢) الوهد : المكان المطمئن. والخيف : المكان المرتفع.
(٣) الزيف، من قولهم «درهم زيف»، وهو الذي دخله غش.
(٤) الهيف : ريح حارة تيبس النبات وتنشف المياه.
(٥) الغيف : جماعة الطير.
(٦) الفيف . كل مفازة لاماء فيه.

القصيدة الثالثة

الوطن جنة، نعيش فيها، وفي ظلها.. ونحن امة تفخر بالوطن وجنته، وبما قام به جدودنا من اعمال مجيدة، ونحس بالغربة عندما نبتعد عنه، ونحنّ لريحه ونسماته، ونود ان نعود اليه لنعيش فيه مع اهلنا، ونرجع له من السفر مسرورين فرحين، لان حبه كامن في قلوبنا منذ الصبا والطفولة، ولانقبل ان نقارنه باي مكان آخر في الدنيا، واذا فكر أحد في العدوان عليه أدافع عنه بحياتي ودمي، وليعلم العالم كله اني اقاتل من اجله، ولستُ وحدي في هذا، وانما معي كل ابناء هذا الوطن : اطفال وشباب، ورجال، وكهول، وعجائز.. كلنا صف واحد، ولن يتخلف أحد.

الوطن

وطني هو القُطر الذي أنا عائشٌ ... في ظلّ جنّته المديدِ وساكنُ
وظِلالُ جنّته مَفاخرُ أمتي ... ومـآثرٌ لجدودنا ومحَاسن
وطني الذي أحسستُ عند إقامتي ... في غيره أني غَريبٌ ظاعِن
وحسدتُ هبّةَ كلّ ريحٍ نحوه ... وغَبَطتُ من هو فيه حِلٌّ قاطن
وأحِسُّ حين إليهِ أرحلُ آيبا ... اني تبطّنني سرورٌ باطن
واظل مبتهجا اذا شارفتُه ... وبَدتْ مبانٍ منه لي وأماكن
وتسرني اكواخُه وقصورُهُ ... لمّا اشاهدها به واعاينُ
هذا هو الوطنُ الذي منذ الصبا ... اضحى له حبٌّ بقلبي كامِن
إني أغار عليه إذ احبيتُه ... من ان يقارنه سواي مقارن
واذا يهاجمه الدو فانني ... بدمي له دَفْع المهاجم ضامن
فَلْيَعلم الثقلان طُرّاً انني ... ممن يقاتل دونه وَيُطاعِنُ
ويقول مثل مقالتي ابناؤه ... حدَث ومكتهِل وشيخٌ طاعنُ

القصيدة الرابعة

يحكى ان امراة كان لها ولدان، وكان عمر الاصغر خمس سنوات.. وظلت تقبله اربع قبلات كلما جاءها.. وظل هذا لمدة سنتين، اي الى ان اصبح عمره سبع سنوات، وكانت تقول له ان قلبها يخفق بحبه، ليل نهار وانه لن يستطيع ابدا ان يدرك الى أي حد هي تحبه.. ورد عليها الصغير :

–ان حبك لي وحبي لك مختلفان..

دهشت الأم وسألت الصغير :

– لماذا؟ وكيف؟!

اجاب : انت امي تقسمين حبك بيني وبين اخي.. لكنني احبك، ولااشرك احدا في حبي لك!

والشاعر هنا يقتبس عن الرسول صلى الله عليه وسلم ماقاله عن ضرورة ان يلاعب الاب والام ابنهما حتى سن سبع سنوات، ثم يؤدبه في السبع سنوات التالية.. ويصاحبه بعد ذلك سبع سنوات ثالثة قبل ان يدعه لنفسه ولشأنه.

الام وابنها الصغير

إن الرواة رووا لنا فيما رووا ... أنْ كانَ والدةٌ لها ولدانِ
فأتى الصغيرُ فقبّلتْه اربعا ... وهُو ابن خمس بعدها سنتان
وحنتْ عليه وبعد طول حنوّها ... قالتْ له بتعطّفٍ وحنان :
«لو كنت تعلم يابُني محبتي ... لِمَيّاك مامقدارُها بِجناني[1]
لعجبت من ام يحبك قلبها ... يمسي ويُصبح دائم الخفقان»
فأجابها، وانا كذا لكنّما ... حُبي وحبك ماهما سيّان
فتعجّبتْ منه وقالتْ عند ذا ... «لمْ يابُني!؟» فقال دون توان :
قد قلتُ ذاك لأنّ حبّك شطرهُ ... لأخي، كلانا فيه مشتركان
لكنني احببتُ امي وحدها ... إذ لايُشاركُها بحبي ثان

(١) الجنان : القلب.

القصيدة الخامسة

حكاية الدرة والكتابة

يحكى ان ديكاً، تملكه امرأة مات زوجها.. وبينما كان هذا الديك يبحث في القمامة وعثر على جوهرة ثمينة، لايعرف قيمتها، وذهب بها الى بائع العلف الذي اعطاه مقابلها شعيراً يملأ الكف، وخسر الديك بذلك الكثير!

هذا الديك يشبه الى حد كبير ابن الارملة.. فقد كان يوما ما يفتش في البيت، ووجد فوق الرفوف كتاباً قديماً. لايدرك أهميته وقدره، وتصور انه لانفع منه ولافائدة. لذلك حمله الى الوراق، وباعه بثمن بخس، كما حدث للديك مع بائع العلف.

ديك الارملة وابنها الجاهل

ضرب العلاّم من أهل النُّهى   مثلا للجُهلاء السُفها
انّ ديكا لفتاة ارملة   كان يوما باحثا في المزبلة
فرأى في الزبل منه ألق النظرْ   دُرّةً تُحسب من اغلى الدرر
غير انّ الديك من حُمقته   يجهل القيمة من لُقطته
فمضى يحملها في فمه   وهي أغلى قيمةً من دمه
فأتى العلاف في يوم مطيرْ   طالبا منه بها كفّ شعيرْ
فقضى العلاف منه العجبا   ثم اعطاهُ بها ماطلبا
فتولّى الديك من حُمقتهِ   وهو المغبونُ في صفقته

• • •

مثل هذا الديك نجل الارملة   كان من اجهل كلّ الجهلة
كان يوما وهو في البيت يطوف   فاحصا عَن كلّ مافوق الرُّفوفْ
فرأى ثمّ كتابا مذهبا   هو في عهدٍ قديمٍ كُتبا
غير أنّ الغُمر[1] بالجهل مُصابْ   فهو لايعرف ماقدر الكتابْ
قال هذا السفرُ[2] لاينفعنا   وعن الاملاق لايرفعنا
وغدا يحمله في كُمّه   كاتما فعلته عن امّه
والى الورّاق فوراً قد مضى   وبه منه زيوفا[3] قبضا
فغدا الجاهل في فعلته   كأبي غبشان[4] في صفقته

• • •

إنما الجاهلُ كالديك أفينْ   وكتابُ العلم كالدُر ثمين

---

(١) الغمر : هو الذي لم يجرب الامور.
(٢) السفر : الكتاب.
(٣) انظر حاشية الصفحة الثامنة.
(٤) ابو غبشان : كنية الديك، وهي من الغبش : بقية الليل.

القصيدة السادسة

عندما يطلع الفجر، يصيح الديك بالأذان، مسرورا، طرباً، يصفق بجناحيه، كأنما يشعر بالأرتياح، لان عنده موعدا مع صديقه الصباح، وقد اقترب الموعد.. كما يحس الديك ان صوته يرن، في الليل الصامت، عندما تحمله الرياح..

والسؤال : ترىَ ماذا يقول الديك عندما يصيح في الصباح؟

انه يقول للنائمين : اصحوا. استيقظوا.. عيب ان تناموا بعد ان طلعت الشمس لتنبهكم، وتطلب اليكم ان تمضوا الى عملكم، ومن الضروري ان تسعوا وتكدوا وتكدحوا من اجل أن تنجحوا.

الديك في اخر الليل

اذا ماالفجرُ آذنَ بانصياح[1] رأيت الديك يأخذ في الصياح
يَصيحُ اذا الصباح دنا سروراً ومن طرب يصفّقُ بالجناح
كأن له لدى الاصباح وعداً فكان دنوُّه سبب ارتياح
وانّ له بجوف الليل صوتا يرن إذا تموَّج في الرياح
يشقُّ صداهُ صمت الليل وهنا إذا اصدتْ بصيحته النواحي
ألا فاسمعْ له إن صاح صبحا أتدري مايقولُ بذا الصباح
يقول لنُّوم في الصبح هُبّوا ان النوم يقبح في الصباح
وإن الشمس تطلُع في غُدُوٍ لتنهضكم وتغربُ في الرّواح
فخلوا النّوم مُنتفضين منه وقوموا مُسرعين الى الفلاح
أفلا فليسْع من يبغي نجاحا فان السعي من شرط النجاح

(١) انصياح الفجر : ظهر.

القصيدة السابعة

قابل العنكبوت يوما دودة القز، وهي تتحرك بين اوراق التوت، فقال لها العنكبوت في غرور :

–انت لست مثلي : لاتتقنين النسيج وقدرتك محدودة!.

ان ماتنسجين في سنة كاملة اقوم به في يوم واحد!!، وعلى ذلك يجب ان تكوني خادمة عندي، تتبعني، وتأتمر بأمري..

ضحكت دودة القز، وقالت للعنكبوت :

– ليتك تنسجين القليل، ويكون مفيدا نافعا.. ان نسج العنكبوت يكون في الاماكن الخربة، اما نسيجي فهو حرير يلبسه الناس في فرح وفخر.. ماقيمة الزرع اذا نحن لم نحصد منه؟... العمل المفيد القليل اهم من الاعمال الكثيرة التي لاقيمة لها ولانفع!!

العنكبوت ودودة القز

العنكبوت

أيّها العاملون من غير جدْوى هل سمعتُم بقصة العنْكبوت
حين لاقتْ دُويدة القزّ يوماً وهي تنسابُ بين أوراق تُوت

• • •

جاءت العنكبوتُ تختال كبراً ثمّ مالت تجاه تلك الدوده
لست مثلي إذا نسجت[1] صناعا إنمّا فيك همّةٌ محدوده

• • •

إنّ نسجي في ليلةٍ ونهارٍ ضعْف ماتنسجينهُ في عام

دودة القز

فتناهت دُويدةُ القزّ ضحكا ثم قالتْ للعنكبوت الحسود
ليت ماتنسجين كان قليلاً أيّ نفع من نسجك الممدود

• • •

إن ما تنسجين في كلّ دارٍ وسخٌ في سقوفها وخراب
أين نسجي وأين نسجك منهُ إنّ نسجي للابسين ثياب

• • •

كثرةُ الحرث في السباخ[2] شقاةٌ لم يكن من ورائه حصدُ زرع
عملٌ نافع – وإن قلّ – خيرٌ من كثير الاعمال من غير نفع

(١) الصَناع : الماهر في الصنعة، الحاذق في عمل اليدين.
(٢) السباخ جمع السبخة، والسبخة : الارض فيها ملح ونز.

القصيدة الثامنة

ماذا يقول الولد البار

يقول الولد البار بامه:

– من واجبي اكرام امي، لانها حملتني تسعة شهور، ووضعتني بعد تعب وجهد، وظلت بعد ذلك ترضعني، ثم فطمتني.. وهي ترعاني ليلا، وتصحو من اجلي.. وتعهدتني الى ان صلب عودي، واطعمتني وسقتني، وساعدتني على أن اتكلم، وافكر، واعقل الامور وأفهم الحياة.. ولهذا ادركت حقها وفهمت دورها.. هي *بعد الله– جعلتني انسانا: حمدا له سبحانه وتعالى وشكرا لها.

حق الام

اوجب الواجبات اكرام امّي ... ان امي احق بالاكرام
حملتني ثقلا ومن بعد حملي ... وضـــعـــتني مجهودة لتمام
ثم في الحول بعد ذاك وهذا ... ارضعتني الى أوان فطامي
وَرَعتْني في ظُلمَةَ الليل حتىَّ ... تركتْ نومَها لأجلِ مَنامي
وبِلُطفِ تعهَّدتني إلى أنْ ... زالَ ضعْفي واشتدَّ لينُ عظامي
عنيتْ بي عنايَةَ واستمرَّتْ ... بشرابي مهتمةَ وطعامي
انا مُذْ كنتُ قبلُ في حُضن أمّي ... يوم كانتْ تربِّني باهتمام
لم اكنْ عند يقظتي أو رقادي ... من اولي العقل أو اولي الأحلام
إنما كنت كالسخيلة طفلاً ... فاقد الفهْم عاجزاً عنْ كلام
فترعرعت ناشئا ثم صر ... ت غُلاما ولم أكنْ بغلام
وتفهَّمتُ حقَّ أمي كبيرا ... عندما صِرْتُ من اولي الأفهام
كل هذا من فضل أمي ولولا ... فضلُها كنتُ عرضة للحمام
ان امي هي التي خلقتني ... بعد ربي فصرت بعض الانام
فلها الحمدُ بعد حَمدِ الهي ... ولها الشكرُ في مدى الأيام

القصيدة التاسعة

«الدينار» حية صفراء سامة، تقتل الايمان في نفوسنا.. لذلك يجب ان نتحصن ضدها، وان تكون نفوسنا شريفة كي نتقي شرها.. لكن الفقر – ايضا – ثعبان يلدغ، ويميت.. وعلينا لهذا ان نكسب عيشنا بالامانة، وليكن الدينار صلة لنا بالخير، ليساعدنا على كل صعب، وليكون مجرد سلم للمجد، ولندخره للظروف الصعبة، من اجل ان يصبح سيفا ورمحا في الحرب، وفي السلم.. ان الدينار رائع حين يكون وسيلتنا للاحسان وحين نكسو به العاري، ونطعم الجائع.. ان الذي عنده دينار عليه ان يحسن انفاقه، وعليه ان يشتري به السمعة الطيبة، وشكر الناس، اذ الدينار شيطان يقود للشر اذا صرفه صاحبه في غير موضعه.. ومن يكسب الدينار بطريق غير شريف يخسر الكثير، وانت تحسن الانتفاع به اذا نفعت به وطنك واذا اردت لنفسك المجد لا تجعله يسيطر عليك، بل لابد ان تحتقره وتهينه.. لان امره صعب، ومحير: اذا كنت تريد ان تبقى عزيزا فعليك ان لا تحترمه، لانك إذا أعززته اهانك.

الدينار

تالله ما الدينارُ إلا حيّة   صفراءُ يَقتلُ سَمها الايمانا
لكنّنا لو نَشربُ التّرياق منْ   شرف النفوس لِسمّه لوقانا
إنْ كانَ ذا الدينار يشبهُ حيَّةً   فالفقر يشبه في الورى ثعبانا
أوْ كانَ للايمانِ هذا قاتلا   فالفقر كان ولمْ يزلْ كُفرانا
فلْنكسب الدينارَ لكنْ مكسبا   لا يستكينُ به الفتى حزيانا
ولنتّخذْهُ لكلّ خير وَصْلة   ولكلّ صعب مقودا وعنانا
ولنجْعله لكل مجد سُلما   ولكلّ حق مقولا ولسانا
ولندخِرْه لكل خطب عدةً   ولكلّ حرب منصلا[1] وسنانا
ما أحسنَ الدينارَ لو كنّا به   نقضي الحقوقَ ونسلُك الأحسانا
ما اشرفَ الدينارَ لو كنا به   نكسو العراة ونُطعم العربانا
ياحاملَ الدينارِ أحسنْ صرفَه   وابتعْ به لك في الورى شكرانا
واعلمْ بأنكَ حامل – الا إذا   أحسنت موضع صرفه – شيطانا
ياكاسب الدينارِ من غير التقى   أيقنْ بأنكَ كاسب خسرانا
فاذا أردتَ به انتفاعا خالداً   فاجعلهُ فيما ينفعُ الأوطانا
واذا اردت به التعزز والعلى   فاجعلهُ في سبلِ الفخار مهانا
فطبيعة الدينار أمره مُعضلُ   أعيا العُقول وحيَّر الاذهانا
ان عزَّ هان الدهرَ صاحبهُ به   ويَعُز صاحبُه به إنْ هانا

القصيدة العاشرة

امراة الشهيد تنوم ابنها

تغني الام لطفلها الصغير كي ينام، وتختار له كلمات بسيطة حلوة.. وهذه الام كانت زوجة لبطل استشهد في الحرب دفاعا عن الوطن، لذلك تطلب منه ان ينام وان يعيش نبيلا كريما، وان يحيا مجيدا، قويا سليما، صحيحا.. لقد جرح ابوه، ثم استشهد حبا في الوطن والارض التي ولد فيها موطنا وسكنا.. وهي تطلب من ولدها ان يشن الغارات على الاعداء وان يأخذ بثأر ابيه منهم، وتسأله في نفس الوقت ان يكون حنونا رؤوفا بالايتام – مثله – وان يكون لهم اخا ومساعدا ومعاونا.

تنويمة

نم يابني قليلا وعشْ كريما نبيلا
ابوك مات قتيلا من اجل هذي المواطنْ

* * *

نم يابني مديدا وعش حميدا مجيدا
ابوك مات شهيدا في حب هذي المواطن
بنيَّ نمْ مستريحا وعشْ قويا صحيحا
ابوك مات جريحا من اجل هذي المواطن
بني شن الاغاره ابوك لاقى بواره
وانت تأخذ ثاره من العدو المشاحن
عش يابنيَّ كبيرا وكن رؤوفا رحيما
اذا رأيتَ يتيما فكن اخاه المعاون

القصيدة الحادية عشرة

حكاية

قابل الدب ذات يوم ذئبا عجوزا، وخدعه الدب بقوله:

– هيا بنا نمضي معا نبحث عن فريسة

واخذه الدب الى حيث اولاده الدببة الصغيرة، التي تجمعت وافترست الذئب العجوز الضعيف.. وكان للذئب خمسة اولاد صغار، صارت ايتاما.. وعندما كبرت واشتد عودها هاجمت الدببة واهلكتها، ولم ينج منها احد، لقد اخذت بثأر ابيها، وقالت..

– يجب على الناس ان تعتبر، ولا تعتدي.. يجب على من يفكر في العدوان ان يتذكر ان هناك غدا، يمكن للاخرين ان يعتدوا عليهم فيه!

الدب والذئب الهرم

الدب صادف ذئبا في الفلا هرما   عيان طال عليه الدهر والأمد

فقال للذئب قولا وهو يخدعه   هلم نمضي الى مافيه مرتفد[١]

فسار يتبعه طوعا فجاء به   الى محل به من ولده عدد

وعند ذلك اغرى الدب ولدته   بالذئب فافترسوه وهو مرتعد

حتى اصاروه اشلاء مبددة   وراح هدرا فلا عقل[٢] ولا قود

وكان للذئب ولد خمسة فبقوا   وهم صغار يتامى مالهم احد

لكنهم عندما اشتدت سواعدهم   وصار كل له بين الذئاب يد

صالوا على تلكم الاذياب صولتهم   حتى لقد ظفروا منهم بما قصدوا

اذ اهلكوهم جميعا في مساكنهم   لم ينجَ لاوالدٌ منهم ولا ولد

فقال قائلهم من بعد مااخذوا   بالثار واغتنموا كل الذي وجدوا

باايها الناس كل الناس فاعتبروا   لكل يوم على من يعتدون غد

---

(١) المرتفد: محل الكسب

(٢) العقل: الدراية، والقود: القصاص

القصيدة الثانية عشرة

الشاعر ينصح بان نشفق على الطير والحيوان، وألا نعذبه، لانه حي ينبض ويُحسّ مثلنا.. ان هذه الحيوانات العجماء التي لاتنطق تطل من عينيها نظرات الألم اذا شعرت بالألم، وهي تبتعد عنك اذا لحقها منك الاذى، وتتقرب منك اذا كنت ليّناً عطوفا عليها.. لذلك اعطف عليها وافهم شكوتها، رغم انها غير قادرة على ان تشكو لك هذا، لكنها تحس بانك رحيم.

لاتقذف الطير بالحجر، إذ ربما قذفك اخرون به كما فعلت.. واتركها في عشها، ولاتكن لها ظالما، واتركها تبني عشها وبيتها لتعيش فيه كما تعيش انت، واترك عصافيرها تزقزق مع الصباح، لتطربنا، وكأن تغريدها هذا شعر جميل عذب...

واذا لقيت حمامة تحوم، واحسست انها عطشى: فاسقها.. ارويها.. ولك على ذلك اجر وثواب.. هذه نصائحنا لك، اعمل بها اذا كنت صاحب نفس زكية كريمة.

أشفق على كلّ مَخلوق ظَفرت به
ولا تعذّ بهُ طيراً كان أمْ نَعما[1]
فإنّ في كلّ حي نابِضاً وبه
يحس مثلك - إن آلمتهُ - الالما
أُنظُر الى عينيْ العجماء كيف إذا
يَمسُّها الُضرُّ تَشكو حالها بهما
(وكيف تَنأى إذا خاشنتها بُعُداً
وكيف تدنو اذا لاينتها إمَا
فارَحم لعجمتها وافهمْ شكايتها
وإنْ تكنْ هي لم تلفُظْ لك الكلما
واعطفْ على الحيواناتِ التي خُلقتْ
مثلَ الاناسيُ في أحوالها أُمما
فانْ تكنْ عَجزَتْ عن شكرِ راحمها
فما بها العجزُ عنْ حِس بما رحما
لاترجمْ[2] الطير بالحصباء تفزُعها
فراجمُ الطيرِ مأخوذٌ بما رجَما
دَعها بأعشاشها في الدَوح آمنة
ولاتكوننَّ ممن جارَ أو ظلما

(١)النعم: الماشية والابل اكثر مايسمى بهذا الاسم.
(٢)الرجم: الرمي بالحجارة. الحصباء: الحصى.

خَلت لك الارض ياهذا فخلٌ لها
غُصنين في الدَّوح تبني العشَّ فوقها
أما لها الحقُّ أن تحيا بمجثمها
كما حييت على الايام مُحتكما
واترك عصافيرَها في الصُّبح صادحةً
تُبشِّرُ الناس بالصُّبح الذي نجما
فان زقزقةَ العُصفورِ مُطربة
عند الصباح كشعرٍ رقَّ مُنسجما
وإن رأيتَ حماما حامَ من ظمأً
عليك يوماً فلا تبخل عليه بما[1]
فكُلُّ ذي كبدٍ حرَّى تنال به
من دفع حرَّته الاجر الذي عَظما
فتلكَ موعِظتي فاحفلْ بها وعِها
إن كنت ممن زكا نفساً ومَن كَرُما

(١) بما : بماء

القصيدة الثالثة عشرة

الشمس تنير الدنيا، فنرى.. نراها في الصباح حسناء، اشعتها مثل ضفائر الشعر الأصفر.. وقد علقها الله – سبحانه وتعالى – مثل كرة من نار، وما أرضنا إلا بنت صغيرة للشمس، ولدتها بعد أن انجبت قبلها الكثير من الاولاد.. وكلنا في الارض نحتاج الى الشمس، اذ لولاها مانزل المطر، ولانبت الزرع، ولاتكوّنت سنابل القمح والشعير، ولما ظهرت الوان الزهور... والانسان يرى الكون كأنه بحرٌ والشمس فيه جزيرة، لكن العقل لايستطيع ان يدرك حقيقة الوجود... كما أن هناك نجوماً مثل الشمس، وربما هي شموس كثيرة من نار، ولكنها لانها بعيدة تبدو صغيرة في نظرنا، غير انها كبيرة عندما يفكر فيها العقل، وعندها يدرك ان الشمس ضئيلة اذا قورنت بها.. ان هذه النجوم تسبح في السماء بقدرة الله سبحانه وتعالى، وتكشف لنا عن عظمته جل وعلا..

الشمس

إنما الشمس المنيره … عينُ دنيانا البصيره
وبها يُبصِر كلٌّ … من بَني الارضَ مصيره
نجتلي بالصبح منها … وجّهَ حسناء غَريره
ونرى فيها شُعاعا … مُرسَلاً مثل الغديره
إنها كُتلةُ نارٍ … في الاعالي مُستديره
في الفضا قد علّقتهاَ … قدرةُ اللهِ القديره
إن هذي الارض للشمسِ … هي البنتُ الصّغيره
من قديمٍ وَلدَتْها … بعد أولادٍ كثيره
إنما الأحياءُ في الار … ض إلى الشمس فقيرَه
وجميع الناسِ منها … للمحالي مستعيرَه
طينةُ الانسان لولا … الشمسُ لم تبرح فطيره
فهي في معجنِ طين ال … أرض للحيِّ خميره
وبفعل النور منها … تُنبت الارضُ المطيره
وهي المخرجة السُنبلَ … من قَلبِ الشعيره
وبها تَظهر الوان أل … أزاهير النَضيره
إنَّ هذا الجوَّ بحرٌ … وبه الشمسُ جزيره
إنه أوسع من أن … يُدرِ العقل شَفيره (١)
إنه لايتناهى … عند أرباب البصيره
إنَّ للشمس بهذا ال … جوّ أمثالاً كثيره
كلُّها تنشُر في الأبـ … ـعاد ناراً مستطيره

(١) الشفير : طرف الشيء او حرفه

كلُّ هذي الانجم الز … هر شُموس مستنيره
صُغرت في العين لكن … هي في العقل كبيره
لاتكون الشمسُ هذى … عندها إلا حقيره
كل نجم في الفضاء الرَّ … حبِ قد والى مَسيره
ولقد دارَ وكان الله … في الجو مديره
فبهذا تتجلى … قُدرةُ الله القديره

القصيدة الرابعة عشرة

بعض الاغنياء ينظرون الى الفقراء في احتقار، وهذا يزيد من ألم هؤلاء المساكين، الذين يكفيهم ماهم فيه من شقاء وألم، اذ هم غير قادرين على تدبير احتياجاتهم... الغني عنده كساؤه وثيابه، بينما الفقير عار .. الغني عنده الطعام والشواء، والفقير جائع.. وكثيرا مالا يجد طعامه، ويبيت بدونه.. ان الغني يجدر به ان يرحم الفقير، اذا انه يشقى ويعمل، ويكسب الغني كثيرا من ورائه، وبسببه، في حين هو اجير، فقير بسيط، يسعى ويكد ويعاني رغم انه منتج، وانه يصنع الرخاء للاغنياء الذين يعيشون على تعبه وجهده.

الاغنياء والفقراء

أيُّها الناظِر ذا الفقر   بعين الأزدراء
لاتزِدْ بلواه - من فعـ   لكَ هذا ببلاء
إنّه يكفيه مايجْـ   رع من مُرِّ الشقاء
أو ما يشجيك منه   أنه في برحاء
أو ما يشجيك منه   نَفسٌ ذو صُعداء
أنت تغدو بكساء   وهو من غير كساء
وشواءٍ تتغذى   وهو من غير غذاء
ولكم باتَ عشيا   طاويا دون عشاء
كُن - اذا كنت غنيا -   راحِماً للفقراء
أنت لولاهم لما أصـ   بحت بعض الاغنياء
إن أهل الفقر يشقو   ن لاربابِ الثراء
انهم يسعون للمثـ   رين سعي الأجراء
إنهم قد مهنوا النا   س بكد وعناء
وكفوهم كلَّ شغل   مُنتجٍ كُلَّ رخاء
أغنياءُ الناسِ عاشوا   بمساعي الفقراء

القصيدة الخامسة عشرة

حكاية

كثيرا مايطلقون على الثعلب انه «ابو حصين» وتعرفون انه ماكر محتال.. وقد رأى ذات يوم غرابا يقف فوق غصن شجرة، وفي منقاره قطعة من الجبن، فنظر الثعلب اليه وقال :

– اهلا بالملك الذي اتخذ من الغصن عرشا.. اني مشتاق لرؤيتك.. ايها الجدير بمكانك العالي.. لماذا لاتتكرم عليّ بأغنية من صوتك الجميل، الحسن، المطرب؟!

وشعر الغراب بالفخر لهذا المديح، واهتز لذلك حتى ان الغصن الذي يقف عليه راح يهتز معه، وصاح :

– غاق! غاق

وسقطت قطعة الجبن، من فمه وتلقفها الثعلب، وراح يأكلها وهو يقول :

– اسكت!، ان صوتك تكرهه الاذن.. وهكذا، من لايعرف نفسه ومقداره وقيمته يغتر بالمديح الكاذب!!

الثعلب والغراب

ابو حُصين وقاك اللهُ صُحبتهُ
لأنه ذو احتيال ليس يُؤتمنُ
رأى غُراباً قد استعلى على غصن
من سرْحَة وهو في منقاره جُبن
فظلَّ يرنو إليه ثم قال له :
«اهلا بمَنْ عرشهُ من سرحة غُصنُ»
اهلاً بمن كنتُ مُشتاقا لرؤيته
ومن هو اليومَ باستعلائه قَمنٌ(١)
ألا تجود بصوتٍ لي فأسمعهُ
فانَّ صوتك صوتٌ مطرب حَسن
فأهتزَّ عِطفُ ابى النعاب مفتخراً
بالمدح واهتز منه تحته الفنن
وصاح غاقِ فطاحت منه جُبنتُه
وحازها منه ذاكَ الثعلبُ الفطن
وظل بأكلها عفواً وقال له
صهٍ فصوتك مما تكره الاذن
من كان يجهل مامقدار قيمته
فانه هكذا بالمدح يفتتنَ

(١) قمن : خليق وجدير

القصيدة السادسة عشرة

ذات يوم، كنا في بستان جميل نلهو ونلعب مع الاصحاب، ونشم النسيم العطر، وفجأة جاءت فتاة كأنها ملكة: كانت حسناء مثل الشمس وابدع، وقد ارتدت ثوبا اخضر، مُوشّى، ومزدان بالزهور.. وسارت بخصرها النحيل، وجسمها الرشيق، وقد انبعث منها عطر الياسمين.. وظهرت وجنتاها بلون الورد الاحمر، ومضت رقيقة كأنها الندى.. وكان وجهها كالبدر، عليه نوره وضياه، وقد شعت منه ابتسامة حلوة.. ورأينا على رأسها تاجا من الازهار الجميلة.. ومشت في البستان في وقار حينا، وفي دلال حينا آخر، وحامت قربها فراشة ملونة جميلة، وغرد البلبل طربا عندما رآها، وسجعت حمامة.. بل ان اغصان الاشجار انحنت نحوها ومالت اليها، وتناثرت قطرات المطر امامها وتساقطت، وترقرق الماء في الجداول من ورائها... ونظرت اليها الشمس في استحياء: مرة يغطيها برقع من السحاب، ومرة اخرى تطل ساطعة سافرة.. لقد مرت بنا هذه الفترة ونحن نمضي وراءها، ونتبعها، وسمعتها بقلبي وأذني تقول...

— انا الربيع... جئتكم... تمتعوا بوجودي بينكم!

كنا ببستان لنا هو مَربعٌ   نلهو مع الاصحابِ فيه ونرتعُ
ونشمُ أنفاسَ النسيم وبينما   كنّا بنافحِ طيبه نَتمتع
طلعت علينا غادةٌ ملكيّةٌ كالـ   شمس بل هي في المحاسن أبدع
وأتت تميس بحلةٍ من سُندسٍ   من وَشيِها فيها طرائقُ أربع
بضٌ مُجردها خميصٌ خصرهُا   والجسم منها بالطراوة مُشبع
والياسمين بصدرها متفاوحٌ   والوردُ في وجناتها مُتضوع
رفَت كما رقَّ السقيط من الندى   فتكاد من لُطفٍ بها تتميّع
أمّا مُحيّاها فبدرٌ كامِلٌ   وعليه من نَسجِ الأشعة بُرقعٌ
زُنارها قوسُ الغمامِ وثغرُها   طيٌّ أبتسامته بروق تلمَع
ومن الجلالة والجمال برأسِها   تاجٌ بأزهار الرياض مُرصَّع
جاءت تهادي في الرياضِ كما مشى   مابين عَسكره المظفر تُبّع
طوراً تميل الى الوَقار وتارةً   بين الرياض بمشيها تتخلع
وعلى مُحيّاها تحوم فَراشةٌ   تدنو اليهِ وتارةً تَترفع
والبلبل الغرّيدَ قامَ حيالها   طربا يغرد والحمامة تسجع
وجميع أغصان الرياض موائلٌ   طوراً تقوم لها وطوراً تركع
والطلُّ ينثر لؤلؤاً قُدامها   والسحب من فرط المسرّة تَدمَع
والماء يجري في الرياضِ وراءها   فكأنما هو في الرياض مُشيع
والشمس تنظرها ولكنْ تستحي   منها فتسفِر تارةً وتبرقع
حتى إذا ماجاوزتنا واغتدتْ   تمشي ونحن بلا اختيار نتبعُ
قاربتُها كيما اقبِّل ذَيلَها   والقلب مني بالصبابة مُترَع
فسمعت منها عند ذاك مقالةً   قلبي لها من قبل أذني يسمع
كانت تقول: «أنا الربيعُ أتيتكم   فتنعموا بمحاسني وتمتعوا»

القصيدة السابعة عشرة

جاءت الفأرة الصغيرة الى امها لتقول لها..

- كنت ألعب يوما، فرأيت قطا، وبجانبه ديك، يبحث في الارض عن حبات يلتقطها... ورأيت القط منقبضا، بينما كان الديك منتعشا، يرفرف بجناحيه حينا، ويبقيه حول جسمه حينا آخر.. وقد ارتفع عند ذيله مايشبه مروحة من الريش، وعيناه ترسلان نظرات حادة نارية، وكان عُرفه أحمر، قانيا، من فوق رأسه، وهو بين الحين والآخر، يؤذن بصوت عال، يخيفني.. وكان الشيء الوحيد الذي يطمئنني هو القط، كان يؤنسني، لانه كان في جسمه قريبا من جسمي، وجلده مثل جلدي، عليه شعر ابيض تزينه خصلة سوداء عند ظهره، وله ايضا ذيل وذنب كما عندي، وقد ربض هذا القط امامي في لطف، وكدت اتحدث اليه لولا خوفي من الديك.

قالت الام: ان كل الفيران - يابنتي - تستنكر هذا الكلام الذي تقولينه، فانت بسيطة ساذجة طائشة بلا تجربة، ولاتفرقين بين من يجب عليك ان تتلطفي معه، ومن يجدر بك الخوف منه.. الديك لاخوف منه، وان

كنّا لانرضى عن غروره وتكبره.. اما القط فهو مفترس، يضمر للفيران الشر، ينشب فيها اظافره وانيابه، لذلك لاتنخدعي للطفه ومظهره، لانه كثيرا مايحدث ان يكون هناك مخلوق جميل المظهر، سيء المخبر والجوهر..

الفارة وامها
الفأرة والقط والديك

قد قيل عن فارةٍ جاءت أُميمتَها ... يوماً تخبرها أمراً وتذكُره

قالت لها: « اني مذُ كنت لاعبةً ... في حيّنا وهو حيٌ جلّ معشرهُ

رأيتُ قطّاً وكان الديكُ جانبه ... في الارض يبحث عن حبٍ فينقره

فالقط قد راقني مرآه منقبضا ... والديكُ منتفشاً قد راع منظرُه

له جناحٌ كبيرٌ . فهو يُرسله ... مُصفقّا وهو أحيانا يُشمّرَه

وقد علا في زمكاهُ[1] له ذنبٌ ... ضاف كمروحة في الظهر نشّره

(١) الزمكي : اصل الذنب في الطائر

وعينه تلظى كالنار فهو بها … يكادُ يُحرقُ ماكان ينظره
وعرفُه احمر فوق الرأس من غضبٍ … كأنه بالدَم القاني مُعَفره
وقد يصيح صياحا كان يُرعِبُني … فكنتُ ان صاحَ أخشاه واحذَرُه
لكنَّما القط ماكانتْ ملامِحه … إلا موانِستي مُذ كنتُ ابصره
إذ جِسمه قد حَكى في أصل خِلقته … جسمي ولكنما جِسمي مُصغَره
وجلدُه مثل جلدي فوقَه شَعرٌ … قدْ زانَ أبيضَه في الظهر أسمره
ولاأغاير ذاكَ القطُّ في ذنَبي … بل عنده ذنبٌ مثلي يُجرِرُه
وقد أقام أمامي رابضا وله … تلطُفٌ ليَ يُبديه ويُظهره
حتى همِمتُ جهاراً أن أكلمه … ولكنْ الديك عن ذا عاق مَحضرهُ

فقالت الامّ : يابنتي صَه ومهٍ … فانَّ قولكِ كُل الفار يُنكره
فانت غِر وقد فاتتك تجربةٌ … والغِر مُنعقدٌ بالطيش مئزره
فما تعرَّفت من يُرجى تلطفه … ولاتعرفت من يُخشى تجبره
والديكُ ويحك لاُتخشى بوادِرُه … وان يكن غيرَ محمود تكبُره
أما علمت بان القطَ مفترس … يريدُ للفار مكروها ويضمرهُ
وأن أنيابه للفار نائبةٌ … وأن أظفارَه بالفار تُظفره
لايخدَعنكِ في حالِ تلطُّفه … فان ذلكَ مكرٌ منه يمكره
والمكر باللطف غر الواقعين به … كالليل قد غر بعض الناس مقمره
لاتأمننَّ أمرءاً قد راق ظاهرُه … مالم تكنِ أنتَ تبلوه وتُخبره
ولايغرِّك منه منظر حسنٌ … كمْ منظرٍ حَسنٍ قد ساء مخبرهُ

القصيدة الثامنة عشرة

اللعب بعد الدرس

ادرسوا ..استذكروا ..اقرأوا الى ان تتعبوا. وبعد ذلك العبوا...وليس من حقكم اللعب قبل ذلك. اذ لابد ان تجد وتجتهد، وبعد ان تفرغوا من العمل والدرس لكم الحق في ان تتريضوا. لكي تبنوا اجسامكم. وتريحوا اذهانكم، لان الفكر يتعب ويجهد. والسبيل للراحة واستعادة النشاط هو اللعب. لان الجسم مثل الماء اذا طال سكونه يركد. ويأسن وينمو فيه الطحلب . ونحن نتعب ومن بعد ذلك نرتاح...والحياة عمل وشغل..والخبز لايشبع اذا لم نمضغه ، والماء لايروى اذا لم نشربه..والسعادة أمها : السعي والجهد. وأبوها الشقاء والتعب.

جدوا بدرس العلم حتى تتعبوا … فاذا تعبتم بالدرابة فالعبوا
فاللعب ليس يبيحه يوما الى … متعلم الا اجتهاد متعب
وملاعب الطلاب بعد فراغهم … من درسهم حق لهم مترتب
فهي التي تنمي لهم ابدانهم … وتريح من اذهانهم ماانصبوا
والفكر منهكة وان شفاءه … لعب يعاد به النشاط ويكسب
والجسم يكسل عند طول جمامه … كالماء من طول الركود يطحلب
لولا متاعبنا لما حصلت لنا … في العيش راحتنا التي نتطلب
كل الحياة مشاغل لكنها … لولا المشاغل مرة لاتعذب
وسعادة الانسان بنت شقائه … السعي أم والشقاء أب

القصيدة التاسعة عشرة

- ماذا يغرد العندليب فوق الاغصان؟ انه يغرد شعرا يقول فيه انه يحب الطبيعة، والربيع والجمال، واله يحب الحياة بين أغصان الشجر، ولا يرتاح للقصور.. وهو يتنقل هنا وهناك، وبين الفروع عشه، تظلله اوراق الشجرة، وتزينه الزهور..ويهز النسيم غصنه، الا ان هذا الغصن يهتز اكثر للالحان، التي يشدو بها العندليب. وتصغي اليه الازهار، واسألها، تجيب وتدعو ان يبقى غناؤه ويدوم..

والعندليب ولد حرا، ويحب ان يبقى حراً في الفضاء، وهو يريد من الناس، اذا كانوا يرغبون في التسلية الايحبسوه..بل عليهم ان يطلقوا سراحه، ويحرروه اذا كانوا يرغبون في ان يغرد ويغني..الحرية وحدها هي لمتي تجعل صوته جميلا وعذبا..

ولكم الان ان تقرأوا تغريد الشاعر الرصافي بهذه المعاني الكبيرة الجميلة..

سمعت شعرا للعندليب	تلاه فوق الغصن الرطيب
اذ قال نفسي نفس رفيعة	لم تهو الا حسن الطبيعة
عشقت منها حسن الربيع	أحسن بذاك الحسن البديع
فالعيش عندي فوق الغصون	لافي قصور ولا حصون
أطير فيها لفرط وجدي	من غصن ورد لغصن ورد
وفي فروع الاشجار بيتي	فالظل فوقي والزهر تحتي
فسل نسيم الاسحار عني	كم هز عطف الاغصان لحني
وسل بشدوي زهر الرياض	أني بحكم الازهار راض
فكم الى مابه أفوه[1]	أصغت وقالت لافض فوه[2]

* * *

ياقوم اني خلقت حرا	لم أرض الا الفضا مقرا
فإن أردتم أن تؤنسوني	في المباني لاتحبسوني
وإن أردتم أن تنطقوني	فأطلقوني فأطلقوني

القصيدة العشرون

انتم تحبون لعبة «كرة القدم»، وتشاهدون مبارياتها في حماسة، وتراقبون اللاعبين مشمرين السواعد يتبادلون الكرة، ويجرون من ورائها، ليضربوها باقدامهم، واذا ما لمسوها بايديهم احتسب ذلك خطأ يعاقبون عليه، باعطاء الكرة الى منافسهم..لكن يحق لهم ان «ينطحوا» الكرة برؤوسهم..وقد يطلق واحد من اللاعبين قذيفة فتصيب الهدف او يصدها حارس المرمى..

وقد ساعد التليفزيون في عصرنا هذا على زيادة انتشار لعبة كرة القدم وتتبارى المدارس والاندية بل ومنتخبات الدول..واصبح هناك كأس العالم في كرة القدم تتابعه الدنيا كلها بواسطة الاقمار الصناعية ..ولم يكن الامر كذلك ايام قيلت هذه القصيدة الطريفة اذ كانت كرة القدم قاصرة على الملاعب، وربما وصفت بعض مبارياتها من خلال الاذاعة وعلى المستمعين أن يتصوروا كيف تسير المباراة وكان المهتمون بكرة القدم اقل مما هم الان لذلك كان لابد وان يشيد الرصافي بهذه الرياضة ويلفت إليها الانظار.

قصدوا الرياضة لاعبين وبينهم ... كرة تراض بلعبها الاجسام
وقفوا لها متشمرين فألقيت ... فتعاورتها منهم الاقدام
يتراكضون وراءها في ساحة ... للسوق معترك وصدام
وبرفس أرجلهم تساق وضربها ... بالكف عند اللاعبين حرام
ولقد تحلق في الهواء فأن هوت ... شرعوا الرؤوس فناطحتها الهام
وتخالها حيناً قذيفة مدفع ... فتمر صائتة لها إرزام[٢]
ولربما سقطت فقام حيالها ... للضرب عبل الساعدين[٣] همام
وتخالها ونخاله كفريسة ... سقطت فزمجر دونها الضرغام
لاتستقر بحاله فكأنها ... أمل بها تتقاذف الاوهام
تنحو الشمال بضربة فيردها ... نحو الجنوب ملاعب لطام
وتمر واثبة على وجه الثرى ... مرا كما تتوارث الارام
وكأنها والقوم يحتوشونها[٤] ... قلب به تتلاعب الالام
راضوا بها الابدان بعد طلابهم ... علما تراض بدرسه الافهام
ابناء مدرسة أولاء كلهم ... يفع مرير المرفقين غلام
لابد من هزل النفوس فجدها ... تعب وبعض مزاحها استجمام
فاذا شغلت العقل فاله سويعة ... فاللهو للعقل الطليح جمام
والفكر منهكة فباستمراره ... تهن العقول وتهزل الاجسام
ورياضة الأبدان ملعبة بها ... حفظت نشاط جسومها الأقوام
إن الجسوم اذا تكون نشيطة ... تقوى بفضل نشاطها الأحلام
هذي ملاعبهم فجسمك رض بها ... واسلك مسالكهم أعداك الذام

القصيدة الحادية والثلاثون

النوم يريحنا من المتاعب والهموم والاحزان، ويجدد نشاط اجسامنا ويخلصها من سموم التعب والجهد، وخلال النوم نسبح في عالم من الغيب مع الارواح، وفيه تهدأ النفس وتصفو... انه لنا مثل الزيت للمصباح.. وهل يضيء المصباح بلا زيت!.. اننا بالنوم نمضي الى افق بعيد، بعيد.. بعيد عن الارض والواقع المر!

والنوم سلطان لانستطيع الا ان نرضخ له، ونستسلم لحكمه، نحن وكافة المخلوقات الحية من حيوان وطير. الاسد في الغابة والطير فوق الشجرة، والانسان: الكل ينام!

- ولا تكن مثل الكلب الذي يتملق الآخرين ويتجسس عليهم.

- ولا تكن كالفراشة الطائشة حين تواجه مشكلة. وكن رزينا مثل (الغراب الحازم) الذي لا يضع ثقته في الجميع

أنت مطالب بان تراقب خلق الله وان تعرف طباعهم وخصالهم وتختار لنفسك احسن الخلق في الخلق !

كن كالطلي وكالقمري متدعا
تنلْ من الناس كلّ العطف والشفق

وكنْ جريئا على مافيك من دَعة
مستأسد القلب نذْبا غير ذي فرق

ولاتكن كدجاج الهند منتفخا
فان ذاك دليل الجهل والُحمق

ولاتكونن رواغا كثعلبة
فالروغُ أسوأ مافي الخلق من خُلُق

ولاتكنْ عارماً كالتيس منتطحا
فالعرم مجلبة للغيظ والحنق

ولاتكونن مسكينا وممتهنا
مثل الحمار الذي يقتاد بالوهق[1]

ولاتكونَنَّ مهذاراً كضفدعة
لاتنْ منَقنقةً في ظلمة الغسق

ولاتكونَن كالطاؤوس مفتتنا
بالعجب فالعجُبُ مَدعاةٌ الى الخرق[1]

ولاتكونن مثل القرد ذا بَخل
على طعامك تتلو سورة الفلق

ولاتكن ملقا كالكلب يحمله
على التبصبص طَبع فيه ذو ملق

ولاتكن عندما تدهاكَ داهيةٌ
مثل الفراشة ذا طيش وذا نزقْ

بل كنُ رزينا شديد الحزم ذا حَذر
مثل الغراب بمنْ لاقاهُ لم يثق

تأمل الخَلق وانظر في طبائعهم
واخترْ لنفسك منهم أحسن الخَلُق

القصيدة الثانية والعشرون

تناقل الناس حكاية..البعض يرى فيها الفكاهة، والبعض الاخر يجد فيها الحكمة..يقولون انه عاش في الزمن الماضي فتى احمق، اسمه «يزيد بن ثروان». وكانت له لحية كثيفة، تتدلى على صدره حتى سرته، وهي عريضة حتى انها تغطي بعض ضلوعه..واذا نظرت اليها كانت مثل قلع المركب، ويبدو هو مثل الصاري الذي يتصل به شراع السفينة..واغرب شيء فيه انه كان ينظم بعض الودع في سلك، ويجعل منه عقدا يضعه حول رقبته، وعندما يسألونه: لماذا يفعل هذا؟!..يجيب:

— حتى لااضيع ولا أضل أو أتوه!

وقد ضرب الناس به المثل على الحمق والغباء..

واذاً كنا نعيب على الاحمق هذا العمل، فما بالكم بالجاهل؟!..اننا ربما نغفر للاحمق لكننا لانتسامح مع الجاهل، الذي عنده عقل ويرفض ان يستخدمه، والجاهل يستحق الاحتقار لجهله، الذي قد يقتله..ويجدر بالجاهل ان يخجل من نفسه. اذ اننا قد نتحمل الحمق، لكن الجهل لايمكن ان نتحمله أو نتقبله.

لقد نقل الناس احدوثة ... ونقلها نحن عمن نقل
ففيها لِمن شاء افكوهةٌ ... وفيها اعتبار لِمن قد عقلْ
رووا أنه كان فيما انقضى ... من الأعصر الماضيات الأول
فتى واهن الرأي ذو حُمقة ... تناهتْ فكانت به كالخبل
يزيد ابن ثروان كان اسمهُ ... وكان من الازد أو من هُبل
وكانت على صدره لحية ... تـكـادُ سُرتـه تـتصـل
ضفا شعرها الكثُّ مسترسلا ... الى القُصريين كثير الخصل
فلو نسج القوم من شعرها ... لحاكوا صداراً لِصدر الجمل
وتحسبها وهي منـفوشة ... شراع السفينة وهو الدقل
وقد كانَ مِن حمقه ... وأى وَدَعات ببعض السبل
فحاول في السلك تنظيمها ... فكانت له بعد ماقد فعل
مكان القلادة من عُنقه ... تدل على حُمقه والخطل
فقال له القوم: «لِمَ هكذا ... فعلت؟ فقال: «لئلا أضل»
فشاعتْ حماقتهُ واغتدى ... به يضرب الناس فيها المثل
فهذي حماقته فاعتبر ... بها واحمد الله يا من عقل
فان كان ذو الودعات امرا ... يعاب وما خطبه بالجلل
فما قولكم في الجهول الذي ... تسر بل بالجهل ثم اشتمل
وما حقَّ عذل على أحمق ... من الناس لكنْ على من جهل
لان لذي الجهل عقلا به ... على جهله يستحق العذل
فان حقر الحمق أربابه ... فكم حقر الجهل بل كم قتلْ
ولايخجل المرءُ من حُمقه ... ولكنْ من الجهل كل الخجل
ويحتمل الحمقُ عند الورى ... ولـكنما الجهـل لايحتمـل

القصيدة الثالثة والعشرون

جاء الصيف والجفاف، والشمس المتوقدة بالحرارة والضياء.. كانت الشمس تبدو غاضبة، تبعث باشعتها كالنار، او الحراب توقد الناس وتؤلمهم..بل ان الليل نفسه استجار من الحر، وفي الضحى تسير الحسناء والعرق فوق جبينها، وقد احمرت وجنتاها..

سامح الله الصيف فهو أرأف بالفقراء من الشتاء. اذ لايحتاج فيه الفقير او الغني الى الثياب والغطاء..ان السماء في الصيف تكون صافية، والنسمة هينة لينة. وقد يطيب الجو في الاصيل، كما ان الصباح يكون مشرقا دائما، فما اجمل السير فيه مع القمر..وفي الصيف نزور الحدائق، وننعم بظلالها ومائها ونجلس تحت الشجر ليمد فروعه وغصونه من فوقنا في حنان..

الصيفُ جاء فجفت الانداء   وشكت يبوستها به الأشياءْ
وتوقدت عند الهجيرة شمسُه   فتلمظت بلعابها الصحراء
وعلى الديار تراكمت من شمسه   مِلءَ الفضاء حرارةٌ وضياءْ
فعلى من الشمس المُنيرة أصبحت   غضبى تجيش بصدرها الشحناء
مَدت الينا في الهجير أشعة   كالكهرباءة نارُها بيضاء
فكأنها بيض الجراب لوُخزنا   صُقلت فما نجديدها أصداء
حتى استجار الليل من لفحاتها   ركب سروا فهدتُهم الجوزاء
انظر الى الحسناء في وأد الُضحى   تمشي فتلفحُ وجهها الرمضاء
ان كان حرُّ الشمس لوَّح وجهها   فكذاك تؤذي الضرة الوْرهاء[1]
أني لأغفر للمصيف ذنوبه   ولو أن غارة هيفه[٣] شعواء
فالصيف أرأف بالفقير من الشتا   ولذا تحبَّ قدومه الفقراء
قلت به الحاجاتُ فالفقراء في   أيامه والأغنياء سواء
منْ كان أعوزه كساء منهم   فالصيف ملحفة له وكساء
والارض-إن طلبوا الرقاد-وطاؤهم   منْ دون من والسماء غطاء
ولئن يكن كدر النهار فليله   طلقَ وفي وجه السماء صفاء
ولئن قسا عند الهجير فريحهُ   هَبت بحاشيتيه وُهي رخاء
ضحى فطابتْ في ضُحاهُ ظلالهُ   وأتى الاصيلُ فطابت الافياء
والصيف أحسنُ مابه لمُشاهد   صبحُ أغز وليلة قمراء
واجل ، مايرتاد فيه جنينة   ترف الظلال بها ويجري الماء
فعليك فيه بسرحة في منبع   تحنو عليك غصونها الخضراء

(١) الورهاء : الحمقاء

القصيدة الرابعة والعشرون

تهدهد الام طفلها الصغير، وتغني له، كي ينام..وهي تتمنى له نوما عميقا، وتدعو لله ان يقيه كل شر، وترجو له ان يعيش من اجل الوطن، عيشة طيبة مجيدة، يكتسب خلالها احسن الخلال والخلق ليكون رائدا وقدوة لابناء بلده..هي تريده ان يشب سليما سويا، يتحلى بمكارم الصفات، ويتعلم كي يصير عالماً يخدم وطنه وينفعه بعلمه وخلقه..أو تود ان يكون فارسا وعالما في نفس الوقت من اجل ان يحرس وطنه، ويحميه من كل خطر..وتدعو له ان ينام في هناء وسعادة وان يصحو يقظا، لبيبا، فطنا ينفع بلده باعماله الحسنة الطيبة..

الام تتغنى بكل هذا، بصوت حلو رخيم عذب، يحمل كل الامنيات الحلوة لولدها..ربما لايفهم هو كل هذه الكلمات والمعاني، لكنه يكبر وفي اذنيه اصداء جميلة منها، وامل في ان يحقق رجاء امه وامته فيه!

بُنيَّ نوم العافيه   وقتْك كلُّ واقيه
من شر كل داهيه   فعش لأجل الوطن

• • •

بُنيَّ عشت ماجدا   تكتسب المحامدا
حتى تكون عالما   لتنفع هذا الوطن

• • •

بُني عشت سالما   تكتسب المكارما
حتى تكون عالما   لتنفع هذا الوطن

• • •

بني عشت فارسا   وللعلوم دارسا
حتى تكون حارسا   لمجد هذا الوطن

• • •

بنيَّ نمْ نوم الهنا   وعش لليبيا فطنا
تنفعُ هذا الوطنا   بكلُّ فعل حسن

القصيدة الخامسة والعشرون

هل تسأل نفسك – ياصغيري – لماذا وجدت المدارس؟!

المدارس حدائق..وكما تنمو الاشجار والازهار في الحدائق تنبت في المدارس: الأمجاد، والاعمال الطيبة..في هذه المدارس تتغذى النفوس بما يجعل العقل ينمو ويكبر وبما يجعل الافكار أجمل واعمق كما ان المدارس تجلو القلب، لتحلو مشاعره، وتفتح العيون على الحق والخير والجمال..حتى ان الناشئين يدخلون المدارس وهم مثل «النحاس»، ويخرجون منها وقد أصبحوا مثل (الذهب الثمين.. هم مثل (الدرهم) البسيط ولكنهم يكونون بالعلم مثل (الدينار)... المدارس روضة للنفوس، تنبت الازهار.. ان العاجز فيها يصبح قادرا والضعيف قويا..والناس في الماضي كانوا عبيدا وبالمدارس تحرروا ..لذلك يجب علينا ان نعمل على تحصيل العلم، وبعدها يصبح العيش سهلا رغيدا وتسعد ايامنا وتزدهر..ومامن شيئ نستطيع ان نفخر به كما نفخر بالعلم ..وغير العلم الا ثوبا مستعارا لاقيمة له!

المدارس

إنما هذه المدارس روض ينبت المجد والعلى والفخارا
تتغذى به النفوس غداء هو ينمي العقولَ والافكارا
جلَّ فعلا إكسيرُها المتعالي كيف يجلي القلوبَ والابصارا
يدخل الناشئونَ فيها من الناس نحاسا ويخرجون نضارا

ربَّ نفس كدرهم قد جلاها العلم حتى أعادَها دينارا
نَضرتْ هذه المدارس روضا من بني القوم منبتا ازهارا
منح العاجز الضعيف اقتداراً موشكا أن يغالب الاقدارا
كانت الناس في القديم عبيدا وبها اليوم أصبحوا أحرارا
فعليكم فيها بتحصيل علم يرغد العيش ويسعد الاعمارا
نحن قوم نرى المفاخر – إلا من طريق العلوم – ثوبا معارا

القصيدة السادسة والعشرون

كل شيء نعرفه يتكلم ويعبر عن نفسه، البعض يفهمه، والبعض الاخر يجده غامضا..

ان الغراب يقول : «غاق»، وهو يعني بذلك ان من يقوم مثله في الصباح المبكر لايخاف الفقر والاملاق، لانه سوف يجد وقتا متسعا من النهار يعمل فيه ويكسب..

والذباب حين يطن يقول لنا ان على المرء ان يعز نفسه ويصونها ولايهينها، لانه اذا اهانها كانت على الناس أهونا، ولن يلقي منهم الاعزاز والتكريم

ويزقزق العصفور قائلا: ان اردت الرزق عليك ان تجد وتسعى..والصرصار يصرصر لنا: اسهر الليالي تحصل على المعالي! والضفدعة بنقيقها تقول: الصدق منجى والكذب والاختلاق سر الفشل.والطبلة تدق : اعمل الخير، واستمر في عمله يدوم لك الخير..والباب عند فتحه يقول: اطرق الابواب، تحقق مطلبك..

حقا: كل شيء يتكلم!

لاشيء مما نَعلم   إلا له تكلم
تكلم مختصر   يُفهمه مَنْ يَفهم
فهو لقوم واضح   وهو لقوم مبهم

* * *

إن الغراب قد غدا   يقول «غاق غاق»
فكان معنى قوله   في نظر الحذاق
منْ قام مثلي باكرا   لم يبل بالاملاق

* * *

إن الذباب قائل   بصوته الخزتاز
مَقالة فسرها   لنا ذوو الالغاز
مَنْ لم يعز نفسه   لم يحظ بالاعزاز

قد أخذ العصفور من   . بعد وضوح الفلق
يقول قولا واضحا   بصوته المزقزق
ان رمت رزقا طيبا   فاسع .وجد ترزق
وكم سمعنا صرصرا   في ليلة المعتكر
يقول فيما مده   من صوته المصرصر

من يسهر الليل لكي   يصيرَ بدعا يصبر

* * *

وضفدع مرتطم   مابين ماء ولثقْ
قال بمستنقعه   وهو ينق في الغسق
ماخاب قط من صدق   ولانجا من اختلقْ
والطبل عند ضربه   يخرج صوتا دم دم
فكان معنى صوته   كما رواه مر دم
إن تفعل الخير فلا   تدعه لكن دم دم

* * *

والباب عند فتحه   قال لنا جلَنْبلق
فكان معناهُ لدى   من سد رأيا وحذق
من دق بابَ مطلبِ   ولج في الدق انبلق[2]

(١) اللثق: الماء والطين المختلطان.
(٢) انبلق الباب: انفتح.

القصيدة السابعة والعشرون

كانت اغصان الشجر خضراء وارفة. ومن فوقها الطيور تغرد..واذا بالاوراق تصفرّ وتسقط، وتجدد الاشجار من ثيابها، وتمتلىء السماء بالسحب القاتمة الممطرة حزنا! ، وطال ليلنا. حين أقبل الشتاء واشتد البرد والظلام كما قصف الرعد، وخافت النجوم وتوارت واختفت عن عيوننا وهبت الريح وعبس الجو. واحتار الناس وقلق المعسرون لانهم لايجدون عملا يخرجون اليه. ويجدر بنا ان نعين هؤلاء الفقراء ونحسن اليهم..وكثيرا مايكون الشتاء أرحم بهؤلاء الناس – رغم البرد – لانه كريم بامطاره التي تنبت الزرع والخضرة، ويأتي بعده موسم الحصاد ليشبع الجميع: اغنياء وفقراء!

الشتاء

فقد كانت الأغصان مخضرة   وكانت الطيور بها تسجع
فصارت الأوراق مصفرة   تسقطها الرادة[1] والزعزع
ثم غدت جرداء مزورة   والغيم أمسى عينه تدمع
من اجل هذاالمشهد المحزن

والليل قد طال على من شتا   وصار ليلا باردا مظلما
لعل هذا الرعد مذ صوتا   هرب منه تكلم الأنجما
علام قد غيم ليل للشتا   فارتاعت الأنجم مذ غيما
واحتجبتْ فيه عن الأعين

والريح من برد الشتا صرصر   والجو يبدو عابسا مطرقا
قد حار فيه الترب المعسر   اذ لم يجد فيه له مرفقا
يأيها الناس ألا فاذكروا   من كان منكم في الشتا مملقا
واحسنوا فالفوز للمحسن

ان الشتا أرحمُ للمعدم   منكم وان وجعه برده
لأنه بالعارض[2] المسجم   ينبت زرعا يرتجى حصده
حتى تفوز بالأنعم   مما لهم انبته جوده
ويشبع المعدم كالمغتني

(١) الرادة : الريح تتحرك تحركا خفيفا ، والزعزع : الريح الشديدة التي تزعزع الأشياء.
(٢) العارض : السحاب ، المسجم : المنصب.

القصيدة الثامنة والعشرون

أصيب رجل بالكساح، واصبح لايستطيع ان يتنقل بل كان يزحف على الارض حتى ولو كان بها طين، وتألم لذلك اشد الألم..وذات يوم مرّ على جماعة من الناس، كالسلحفاة، فالتقى مع رجل قوي الجسم فاقد البصر لايعرف اين يسير ويمشي، ويتعثر في خطواته، ويضل طريقه..

فقال الكسيح للاعمى : ان قلبي حزين مثل قلبك لاني مقعد عاجز..وانت سجين العمى..فماذا لو اتخذنا على ماأبتلينا به؟!..استعين برجليك، وتستعين بعيني

وافق فاقد البصر على الفكرة، وقبل رأي الكسيح، وحمله على كتفه وسار به وهو يرشده الى الطريق كأنه ربان سفينة وبذلك خفت مصيبة كل منهما والمصائب تهون اذا تعاون الناس عليها.

المقعد والاعمى ... بالتعاون تهون المصاعب

واكسح من بني الغبراء أخنى ... على رجليه داؤهما الدفين
يهم بحاجة فيعي عنها ... وليس على المراد له معين
ويزحف فوق وجه الارض زحفا ... وان يك تحته وحل وطين
ويمسي موجعا قلقا حشاه ... له في كل داجية رنين
فمر على طريق الناس يوما ... كما مرت سلحفاة حرون
فلاقاه من الطراق اعمى ... قوي الجسم مقتدر بدين
ولكن ليس يعرف أين يمشي ... ومن أين الطريق له يكون
يقدم خطوة ويرد أخرى ... ويزعجه التحرك والسكون
فقال له: رويدك إن قلبي ... كقلبك أيها الاعمى حزين
غدوت سجين اقعادي وعجزي ... وإنك اليوم تعوزك العيون
فلو أنا ببلوانا اتحدنا ... لكانت هذه البلوى تهون
وكنت اذن برجلك مستعينا ... وكنت اذن بعيني تستعين
فوافقه الضرير وقال مرحى ... فرأيك بالرضى مني قمين
وأصعده على كتفيه فورا ... وظل يسير وهو له قرين
فكان عليه كالربان يجري ... به الاعمى كما جرت السفين
وهانَ الخطب من هذا وهذا ... وعنْ قلبيهما انجلت الشجون
وكل مصائب الدنيا اذا ما ... تعاونت أهلها فيها تهون

القصيدة التاسعة والعشرون

قصر الحمراء ... اثار العرب الخالدة

قصر الحمراء بناه العرب المسلمون في الاندلس..وقد ضاعت منا، ومن يزر منا هذا القصر ويقف ببابه سوف ينتابه الحزن والاسى ويندب الحظ، واذا ماسأل جدران القصر فانها سوف تحدثه عمن بنوه، واقاموا فيه ايام المجد والرخاء، لكن ذلك لم يدم، لانهم لم يصونوا ملكهم. وقد رماهم الدهر بهذا الخطب وتلك المصيبة، فضاعت منهم غرناطة وقرطبة و ضاع من العرب هذا البلد الذي بنوه واقاموه ..حقاً انه دهر سفيه لكن الذين اضاعوا الاندلس اكثر سفاهة!

قف على الحمراء وأندبْ ... مضَرَ الحمراء فيه
واسأل البنيان ينبئك ... بانباء ذَويه
ويحدثك حديث ال ... مجد والعيش الرفيه
بكلام محزن الله ... جة يبكي من يعيه
فيقول القلب اها ... وتقول الاذن ايه
صاح لو كان لذا الدهر ... حياة يَقتنيه
مارمى العرب أباة ال ... ضيم بالخطب الكريه
لا ولا جَر بغرنا ... طَة أذيال سنيه
حيث هذا القطر أمسى ... خاليا من مبتنيه
فازْدَرِ الدهر وسفهْ ... كلُّ منْ لايزدريه
واذا كنت حليما ... ابك من دهر سفيه

القصيدة الثلاثون

الجهل وراء كل مصيبة ومشكلة، والعلم هو سلم النجاح والتفوق، واذا سألنا سائل :

—من هو الذي يجعل الناس ينهضون للعلى ويتقدمون؟!

نقول ببساطة انه «المعلم»..

ان المعلم طبيب يعالج من مرض الجهل.. المعلم كوكب يهتدي به الذين يسيرون في الظلام.. لذلك يجب الا نقلل من قدره والا نبخس حقه.. لان له حقا وفضلا مثل الوالدين، واكثر واعظم.. ان المعلم يضيء منا العقول، بينما اعطانا الوالدان اجسامنا، وهل لها قيمة بلاعقل؟ ان علينا ان نعلم، ونتعلم.. والعلم فريضة من الله على الناس : ان يتعلّموا، واذا ماتعلموا فان عليهم واجبا، هو ان يعلّموا الآخرين!

حق العلم

اذا كانَ جهلُ الناسِ مدعاةَ عيّهم فليس سوى التعليم للرشد سُلم

فلو قيلَ منْ يستنهضُ القومَ للعُلى
اذا ساءَ محياهم لقلتُ المعلّم
مُعلّمُ أبناءِ البلادِ طبيبُهم
يُداوي سقامَ الجهل والجهل مُسقم
وما هو إلا كوكبٌ في سمائهم
به يهتدي الساري الى المجدِ منهُم
فلا تبخَسنْ حقَّ المعلّم انه
عظيمٌ كحقَ الوالدين بلْ اعظم
فانَّ له منكَ الحجا وهوَ جوْهرُ
وللوالدين العظمُ واللحمُ والدَمُ

الا انما تعليمُنا الناس واجبٌ وإنَّ على الُجهال أن يتعلموا
وما اخذ اللهُ العهودَ على الوَرى بان يعلموا حتى قضى أن يُعَلموا

القصيدة الحادية والعشرون

هذه القصيدة يمكن ان نطلق عليها «كن» و«لاتكن»، وهي من اطرف قصائد الديوان وأجملها..

كن كالعصافير والطيور، وديعا رقيقا لتنال عطف الناس

كن كالاسد قويا شجاعا، لاتخاف شيئا ولاترهب احدا

- ولاتكن مثل الدجاج الهندي منتفخا، مغرورا، عن جهل وحماقة
- ولاتكن مراوغا مثل الثعلب، فالخديعة اسوأ الوان الخلق
- ولاتكن عنيفا مثل التيس الذي ينطح مايقابله بدون تعقل.
- ولاتكن مثل الحمار ضعيفا مسكينا يقتادونك كما يشاءون.
- ولاتكن مهذاراً، هازلا، مرحا مثل الضفدعة التي تصدر نقيقها طيلة الليل.
- ولاتكن مثل الطاووس المعجب بنفسه، المزهو بها، لان ذلك من الغباء.

النوم والحاجة اليه

حبّذا النوم فهو للروح روح ... من عَناء الهموم والاتراح
وهو تجديد قوة ونشاط ... لجسوم روازح أطلاح[١]
حبذا النوم ترتقي النفس فيه ... عالما فوق عالم الاشباح[٢]
تلفون به الى الغيب نصغي ... وتسلكوا بنا الى الارواح
حبذا النوم انه شرك يمـ ... ـتدُّ في الجسم لاصطياد ارتياح
فهو للنفس من مراقي المعالي ... وهو للجسم من دواعي الصلاح
حبذا النوم فهو كالزيت ... للروح به تستضيء كالمصباح
وهو معراجنا الى افق غيب ... لنْ تناهى ابعاده والنواحي
حبذا النوم واصلا بين حي ... ذي ثواء وميت ذي براح
أيها القوم إن للنوم سلطا ... نا قويا لايتقي بسلاح
نافذ الحكم والقضاء على الانسان ... في حزنه وفي الافراح
وعلى الاسد وهي في الغاب تدأى[٣] ... وعلى الطير وهي في الادواح

(١) الروازح : من قولهم رزح الجسم: اي ضعف وهزل. والأطلاح: المتعبة المهزولة.

(٢) الاشباح: جمع الشبح: وهو ماينظر بالعين.

(٣) تدأي: تختل وتراوغ للصيد.

القصيدة الثانية والثلاثون

يجلس البعض الى المائدة خفيفا لطيفا..وبعدها يقوم ثقيلا متخما انه يبتلع اللقمة وراء اللقمة ، بسرعة، ولهفة بل يزدردها دون ان يمضغها، وتمتلىء بطنه، حتى يكاد الحزام ينقطع ..ونظرت اليه في ضيق وقلت له:

على مهلك انك تبلع طعامك بلامضغ وهذا يضر بصحتك ..اذا اكلت الطعام بنهم، سوف يأكلك هو ..منذ قديم الازل والانسان يأكل ليداوي جوعه لكن اذا اكثر المرء من الدواء مَرِضْ!..ونحن لانأكل لمجرد لذة الاكل، بل نحن قوم يجب الا نأكل حتى نجوع، واذا اكلنا يجدر بنا الانشبع ؛ ونحن نأكل لنعيش، ولانعيش لنأكل..والمعدة بيت الداء..ان الطعام يمنحنا الحياة وقد يسلبها منا اذا مازاد عن حده، وتنوع به في اسراف..من الضروري الايكون الطعام هدفا لنا في الحياة، بل وسيلة اليها.

أكب على الخوان وكان خفًا ... فلما قامَ أثقله القيام
ووالى بينها لقما ضخاما ... فما مرثت له اللقم الضخام
وعاجل بلعهن بغير مضغ ... فهن بفيه وضع فالتهام
فضاقت بطنه شبعا وشالتْ ... إلى أن كاد ينقطع الحزام
فارسلت اللحاظ اليه شزرا ... وقلت له رويدك ياغلام
أتزدرد الطعام بغير مضغ ... على أيام صحتك السلام
فلا تأكل طعامك بازدراد ... معاجلة فيأكلك الطعام
الا ان الطعام دواء داء ... به ابتليت من القدم الانام
فداو سقام جوعك عن كفاف ... فاكثار الدواء هو السقام
طعام الناس عجب ماأحبوا ... فمنه حياتهم وبه الحمام
وأعجب منه الناس راموا! ... تنوعه، ألا بئس المرام

القصيدة الثالثة والثلاثون

تصلنا البرقيات.. ان مرسليها يبرقونها لتحملها الاسلاك لمستقبليها، وقد ارتفعت هذه الاسلاك على الأعمدة، واحيانا هي تحت المياه والبحر.. اعمدة البرق تقف كأنها الاشجار، تبعد كل منها عن الاخرى بضعة امتار، وتمتد واضحة الى جميع البلدان، وتسري فيها الكهرباء، تنقل الاخبار بسرعة وفي لمح البصر.. مع اننا لانعرف حقيقة هذه الكهرباء :

بعض جوانبها نعرفه، انها تضيء، وتدفيء، لكن هناك جوانب اخرى لانعرفها : انها علاج لبعض الامراض، كيف؟! ، لاندري..انها تسري في كل شيء ونراها في العواصف، والغيوم، ونلمحها في الارض، لكن : ماهي حقيقة الكهرباء؟!لاندري..انها سر من الاسرار!

للبرق أسلاكٌ تؤدي الاخبار
دقيقة مثل دقائق الاوتار
فوق الثرى مُدّدت وتحت الابحار
في عمدٍ قد رُكّزت كالاشجار
مابين كلٍّ عشراتُ الامتار
تحسبُها في القفر جنّ البَقار
شاخصةً باديةً للانظار
مُمتدةً نحو جميع الاقطار
الكهربائيّة فيها تيار
يُنقلُ في آن كلمح الابصار
جوانب الانباء نحو الامصار
لله من سلك دقيقٍ قد صار
في الجوّ مجرى لجليل الاخبار
والكهربائية شي قد حار

في كُنهه أهل النّهي والافكار — أسفرّ منها الوجه بعض الاسفار
ولم يرنْ مُحتجباً بالأستار — في طيّها نورٌ مُقادٌ مِنْ نار
وكمْ لها بينَ الورى من آثار — تطوي المسافاتِ بهم في الأسفار
وتنقلُ الأخبار ذاتَ الأخطار — وهي تُضيء ليلهُم بالأنوار
فتجعل الآصالَ مثلَ الأبكار — مشرقةً مُبهجةً للأنظار
وقد تُداوي كلَّ داء ضَرار — فالسُقمَ تَشفيه بغير عقّار
والُجرحُ تأسوه بغير مسمار — وهي لَعمري ذاتُ لفح سيّار
لها نفوذٌ في جميع الأقطار — في الحيوان والثرى والأشجار
وفي رياح الجوْ ذاتِ الاعصار — وفي بخار الأرض ذاتِ التّيار
وقدْ .رت في كلّ غيم مدرار — بها تسح هاطلات الامطار

فهي بهذا الكون سّر الأسرار

القصيدة الرابعة والثلاثون

هب النسيم، وراح يحكي ماحدث للبلبل في الحديقة..عندما طلع الصباح شاهد البلبل وردة عليها قطرات من الندى وقد ضمت اوراقها، لم تنفتح بعد..راح ينظر اليها، حتى احمر وجهها خجلاً..وبدأ يغرد على مسامعها ألحانه العذبة، ويعلن لها عن حبه، ويقول لها انها السر في انه ينطق ويغني ، وينشد فيها القصائد والاشعار ويشير فيها الى تنقل الفراشات بينها، وقد لونت اجنحتها بلون الزهور..وقد بعث البلبل لذلك ..فقد كان يمتعه منظرها ويسعده، وكان القمر يطل عليهما ويستمع الى حديثهما والفراشات تحوم فوق الزهور تقبلها ، وتتنقل بينها تأخذ بعض رحيقها، وتسألها عن الوردة، لعل عندها اخبارا عنها، تنقلها الى البلبل اذ انه منذ اختفت الوردة من البستان وهو سهران، حزين مهموم!

إن بليلا من نسيم السحر[1] لما جرى في المربع المخمل[1]
اخبر رياه اصبح الخبر عما جرى في الروض للبلبل[2]
اذ هو مذ القى به ناظره من بعدما ثغر الصباح ابتسم
صادف فيه وردة زاهرة والطل كاللؤلؤ فيها انتظمْ
مضمومة اوراقها الناضرة مثل فم يطلب تقبيل فمْ
فظل يرنو مستديم النظرْ رنوّ ظمآن الى منهل
وهي غدت مما بها من حفرْ محمرة من نظر مخجل
ثم تمادي غردا صادحا يعلن للوردة أشواقه
ينطق بالحب لها بائحا وهي التي تفعل انطاقه
وتنشر الطيب له نفحا كأنها تقصد إنشاقه
حتى غدا البلبل منذ الصغر في حقها منطلق المقول
ينشد فيها شعره المبتكرْ ولايني فيه ولايأتلي
أما ترى الأزهار كيف اغتدتْ فراشة الروض عليها تطيرْ
لها جناح هي منه ارتدتْ ملاءة موشية من حرير
فهي الى الروضة مذ وردت أرسلها الشوق من البلبل
فشاع في الازهار هذا الخبر واستوجب العطف على المرسل
حتى اذا الورد مضى وانقضى وعادت الروضة كالبلقعه

(١)النسيم العليل والريح الباردة فيها ندى السحر: قبيل الصبح. والمخمل الكثير الشجر
(٢) الريان الاخضر الناعم من أغصان الشجر.

مست حشا البلبل نار الغضا　　من حرقة البين الذي ارجعه
لا تسأل البلبل عما مضى　　في زمن ورد مع البلبل

اذ كان يصغي منهما للسمر　　وهو مطل ناظر من عل

فراشة الروضة ظلت لذا　　تحوم والازهار من تحتها
تقبل الزهرة ذات الشذا　　طـائرة منها الى أختها
وتسأل الازهار عما اذا　　مر فقيد الورد من سمتها
لتخبر البلبل بعض الخبر　　لـعـلـه غـمـتـه تـنـجلي
فانه بات حليف السهر　　مذ نزح الورد عن المنزل

* * * * * * * * *

الفهرست

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

****

رقم الأيداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٢٨٤ لسنة ١٩٨٧
مطبعة سومر ـ هاتف : ٧١٩٩٧٤٣